نـــــور المسيــــح
يسوع المسيح الغالب
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

مجلة شهرية

Issue No: 151 عدد:
March 2020 شهر آذار

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

السجود للصليب الكريم المحيي

أيُّها المسيح السَّيِّد

ثَبِّتْني بِصَليبِكَ عَلَى صَخْرَةِ الايمانِ

لِئَلَّا يَتَزَعْزَعَ عَقْلِي مِنْ صَدَمَاتِ العَدُوِّ الصَّعب

لأَنَّكَ قُدُّوسٌ وَحْدَكَ

محتويات العدد

2	التَّوبَةُ أُمُّ ٱلنُّورِ
3	كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	عن صَلاة يسوع
5	مفتاح الحياة الروحية
6	السُّكر بمحبّة الله
7	وحيد القرن
8	نصيبُ ٱثنين من روحك عليّ
10	النظرات المحرَّمة والماجِنة
11	أَبْعَادُ الصَّليب
11	-------
12	عمليّة الشِّفاء
13	-------
14	بين اليوجا والصلاة
15	آثار مسيحيّة ...
17	اليقظة هي عشق الله
18	دعوة داود بقيثارته
19	لا تَشكُ لِلنَّاسِ جُرحًا
20	المحبّة قُبلة
21	------
22	القديس نكتاريوس
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

التَّوْبَةُ أُمُّ ٱلنُّورِ – للقديس أفرام السُّوري

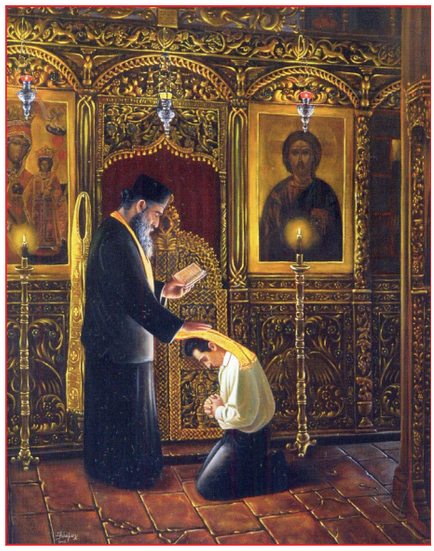

في شَبابِكَ كنتَ تقول: أتوبُ إذا ما كَبِرْتُ، فمضى الشباب وجاءَ الكِبَرُ ولم تَتُبْ.

أفنيتَ شَبَابَكَ بأوجاعِ ٱلشَّهواتِ وٱلذُّنوبِ، وعندما كَبِرْتَ لا ترغَبُ بِأنْ تَتوبَ.

من يومٍ إلى يومٍ تطرُدُ التوبَةَ، وأظنُّها قد هربت مِنْكَ.

في شَبابِكَ قلتَ أبْقَى حتَّى أصنعَ هوايَ وأتوبَ، فها أَنتَ الآن قد كَبِرْتَ.

أُطْلُبِ ٱلتوبة قبل أن يَطلُبُكَ الموت، فإنه بعد الموت ليست هناك توبة.

الأيَّامُ التي مَضَتْ تُخْبِرُكَ عن الأيَّامِ الَّتي تأتي. الأولى لم تختبئ والأخرى لا تبقى.

قد كنتَ بعيدًا عن يومك، فجاءَ وأدركَكَ وها هو أيضًا مُسْرِعٌ إلى الذَّهابِ كما ذَهَبَتِ الأيام الخَوالي.

أنْظُرْ لِنفسِكَ قبل أن يَجوزَ يَومُكَ، واذكر أنَّ شَبابَكَ لن يَدومَ.

تعبُر مثل الظِّلِ أيامك، ومعها تنقضي حَياتكَ.

التَّوبة هي أُم الحياة، وطوبى لمن يُولد منها.

التوَّبة هي ترياقٌ لأوجاعِ ٱلخطيئة ٱلقاتلة، وعذابٌ عظيمٌ للشيطان مضادها.

إنَّها التوبة تجعل الزُّناة بتوليين، كما تَجلي النوراني الذي علاهُ ٱلصَّدأ.

هي تجتذب من الطرقات إلى الملكوت، ومن بين السياجات تُدخل إلى العُرس.

إنَّها قائمة بباب الخَتَنِ السَّماوي، وكل من عَبَرَ بها استقبلت وجهَهُ بيدها.

هي هي أُم ٱلنُّور، وكل من وُلِدَ منها أنبتت له أجنحة من نار، ومع الروحانيين يطير إلى العُلَا.

هي هي ملحمة الطِّب السَّماوي، ومن وضعها على وجهه بَرِئَ لِوَقْتِهِ.

إنَّها تزور الأموات، وكل من بلعه الموت ودنا من أحضانها شقَّت الموت وأخرجته من جوفه.

إنَّها حِصْنٌ تحفظ ما بداخله، وجبَّارٌ يَرُدُّ كل مَن سُبِيَ.

هي هيكل لِلْأُمَمِ الطَّاهرة، ومنها يأخذون قُدسًا لقدسهم.

هي خزانةٌ لجميع الكنوز، وكل من قَرَعَ بَابها أخذ منها حاجته.

فمن ذا ٱلذي لا يُحِبُّكِ أَيَّتُها التَّوبة، يا حاملة جميع التَّطويبات.

ليس من تَمَسَّكَ بِرَجَائِكِ ونزل إلى الجحيم، ولا من صَعِدَ إلى السَّماء بدونِكِ.

مَن يَرى الله بِغَيْرِكِ؟

من تَمَسَّكَ بِرَجَائِكِ ووقع في يَدِ ٱلشيطان؟

وَمَنْ تَطَهَّرَ ولم تكوني أنت ٱلَّتي غَسَلْتِهِ؟

مُبارَكَةٌ أنت يا أُم الغفران، يا مَن أعطانا إيَّاكِ الآب المملوء رحمة.

هي التي تُجدِّد البتولية التي اتَّسخت، وتحفظ بلا عيب تلك التي لم تَفْسُد بعد.

المسيحُ جاءَ وَخَلَّصَنَا، وبصوته نادانا قائلًا : «توبوا فقد اقترب الملكوت».

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة الاحتفال بتذكار القديس ثيوفيلوس أحد الاربعين شهيدًا، الواقع في ٩آذار شرقي سنة ٢٠١٩ ويعيد اسم غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

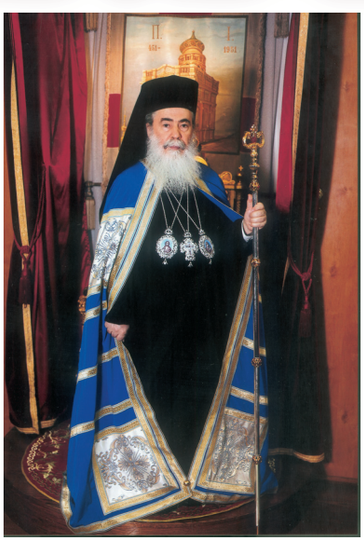

يقول **مرنم الكنيسة**: «لقد ٱحتَسَبَ ٱلشُّهداء ٱلشُّجعان ٱلبُحيرَة فردوسًا. والبردَ حَرًّا أَيُّها المسيح الإله. فلم يرتاعوا ولا تزعزعت أفكارهم من وعيد الحُكَّام المَرَدة. ولا جُبِنُوا مُحجمين بإزاء صدمات العذابات. بل ٱتَّخذوا الصليب سلاحًا إلٰهيًّا. فتأيَّدوا به وَهَزَمُوا العَدُوَّ. فنالوا أكاليل النِّعمة».

أيها الآباء الأَجِلَّاء والإخوة المحترمون، أيُّها الزُّوار المسيحيون الحسنو العبادة.

تهتف **كنيسة المسيح** بفم **داود النبي** قائلةً: «هَلِّلِي لله يا جميع الأرض رتلوا لاسمه. مجدوا تسبحته» (مزمور ٦٥: ١-٢)، في ذكرى **قديسي المسيح المجاهدين الأربعين شهيدًا الذين استشهدوا في مدينة سَبسطية**.

لقد كان هؤلاء القديسون من أوطانٍ مختلفة، فتجنَّدوا كُلّهم في طغمةٍ واحدة، فلم يرتاعوا ولا تزعزعت أفكارهم ولا جُبنوا مُحجمين بإزاء صدمات العذابات. بل اتَّخذوا الصليب سلاحًا إلهيًّا. فتأيَّدوا به وَهَزَمُوا العَدُوَّ. فنالوا أكاليل النعمة.

إنَّ كنيسة أورشليم المقدسة تُكرم ذكرى الأربعين شهيدًا وبالأخص **القديس الشهيد ثيوفيلوس** المستشهد معهم، والذي تحمل اسمه الجليل حقارتنا، فذهبنا اليوم برفقة أخوية القبر المقدس الأَجِلَّاء وأبناء رعيتنا المسيحيين الأتقياء، والحجاج والزوَّار حيث موضع دفن وقيامة مخلصنا المسيح، أي إلى **كنيسة القيامة المقدسة** واحتفلنا مصلّينَ هناك معًا بتتميم الذبيحة الإلهية غير الدموية، أي سِرّ الشكر الإلهي من جهة، ومن الجهة الأخرى رفعنا الحمد والشُّكر والتَّمجيد للإله القدوس الواحد المثلث الأقانيم، وذلك **للذكرى السنوية لعيد القديس ثيوفيلوس الشهيد** الذي صرت أنا حاملًا لاسمه.

وقد صنعنا هذا لأنَّنا سمعنا أقوال **القديس بولس الرسول** التي تقول: «شَاكِرِينَ كُلَّ حِينٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، لله وَالآبِ». (أفسس ٥: ٢٠)

إنَّ الذكرى السنوية للقديسين الأربعين شهيدًا ولا سِيَّما **القديس ثيوفيلوس المُستشهد** معهم والذي تحتفل اليوم به **كنيسة أورشليم المقدسة** بابتهاج وحبور، لا يخص حقارتنا فقط بل أولًا وقبل كل شيء لهذه **المؤسَّسة البطريركيَّة**، والتي تَظهر من خلالها **كنيسة المسيح المُؤَسَّسَة على الدماء الخلاصية لصليبه الكريم، والقديسين** الذين شاركوه في الشهادة وفي سفك دمائهم من أجل محبتهم له، لهذا فإنَّ **الحكيم بولس الرسول** يقول:« لِذلِكَ نَحْنُ أَيْضًا إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا، لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْل، وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ.» (عب ١٢: ١-٢)

إنَّ قديسي شُهداء محبة المسيح هم أولئك الذين ضَحَّوا بدمائهم من أجل الحقيقة، ومن أجل **الإيمان بالمسيح المصلوب والقائم من بين الأموات**، لهذا فإنَّ **القديس بولس الإلهي** يوصي تلميذه **تيموثاوس** قائلًا له: «فَلَا تَخْجَلْ بِشَهَادَةِ رَبِّنَا. لأَنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفَشَلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ.» (٢تي ١: ٧-٨)

إنَّ **القديسين الأربعين شهيدًا** الذين نكرِّمهم اليوم مع **القديس ثيوفيلوس المستشهد** الذي أَحْمِل ٱسمه، **قد جازوا بالماء والنار** حُبًّا بالمسيح الإله فنالوا إكليل الشهادة المُتَوَّج بالمجد الإلهي من لَدُنِ الإله القدوس المثلث الأقانيم؛ فامتلكوا دالَّة مقرونة بالشفاعة لأجلنا، فالنُّفوس التي ضَحَّت من أجل الشهادة للمسيح تخدم في المذبح السماوي مُتَضَرِّعة من أجل أولئك الذين يطلبون غفران خطاياهم كما يقول العلامة أوريجانوس.

إنَّ القديسين الشهداء هم بمثابة مثال ونموذج لكي نقتدي بهم وبجهادهم الذين ضَحَّوا في حياتهم الأرضية الوقتية هذه، ليفوزوا

بميراث ملكوت السماوات. «وَأَنَّهُ بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ.» (أعمال ١٤: ٢٢). فالحياة الحاضرة، كما يوضح **القديس إيكومينيوس** هي حياة **جهاد ضِدّ الخطيئة والشهوات وضِدّ الَّذين يُصارعونَنَا عقليًّا**. فلهذا الجهاد نحن نسعى ونَغْلِبُ وَنَنْتَصِرُ بالتَّعاضُدِ الإلهي.

لِزامٌ علينا أيُّها الإخوة الأحباء، لأَن نُجهاد بكل عَزمٍ وإصرار ضِدَّ حُبّ الذّات، وقمع الشَّهوات، والتَّمسُّك بمعارج الفضائل، معترفين بإيمانٍ راسخٍ أنّ الله ظهر بالجسد (تجسُّد الكلمة)، ليُعتقنا من **براثن الخطيئة** (بُرْثُنُ = مخلب الأسد، دلالة على ضَرَاوة الخطيئة)، ويُعيدنا إلى حضن أبيه السَّماوي، فَحَرِيٌّ بِنَا أنْ نُقَدِّم شهادة محبة إنجيل إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح وبالأخص **في ميدان هذا الصوم الأربعيني المبارك** وإذ لنا كُلُّ معونةٍ وسَنَدٍ، من لَدُنِ القديسين الأربعين شهيدًا والقديس ثيوفيلوس أبينا المستشهد معهم **وسيدتنا الفائقة على كل البركات والدة الإله الدائمة البتولية مريم** أم الله، لذلك نتضرَّع من كل نفوسنا وقلوبنا وأفكارنا، لنستحق أن نبلغ بسلامٍ **لقيامة إلهنا يسوع المسيح الثلاثية الأيام مخلص نفوسنا.**

الداعي لكم بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

عن صلاة يسوع

هذا النص مأخوذ من تسجيل فيلم يتحدّث فيه الأَب أمليانوس رئيس دير سيمونوبترا في جبل آثوس في اليونان، عن قوة صلاة يسوع في الروحانيَّة الأرثوذكسيَّة. كما يُعطي إرشادات واضحة حول القراءة اليومية في الكُتب الإلٰهية.

إنَّ ألف كلمة من الصلاة المقروءة لا تَحلّ مكان بضع الكلمات في صلاة يسوع: «ربّي يسوع المسيح ارحمني». أنظروا خمس (بالعربية أربعة) كلمات صغيرة.

علينا أَن نقرأ لِأَبٍ من آباء الكنيسة، لمدّة عشر دقائق فإنَّها تكفي، لا بل حتى خمسِ إذا شئتم. واقرؤوا غيرها خمس أو عشر دقائق في الكتاب المقدس. من العهد القديم أولًا... لأن العهد القديم هو الأساس... إنَّه الدَّعم، أساس الكنيسة وحياتنا. وسلامنا! إنْ لم نكن نعرف العهد القديم فَلَنْ نفهم الله. لأن الله كشف ذاته هناك. ومن ثمّ كشف لنا قائلًا: «أنا ما أقوله هناك في العهد القديم». «وهنا أكتب عن هذا». إن لم نتمكن من تحديد هذه الأماكن، فَلَنْ نفهمها.

إذا قلتم لي عبارة «**الاحتلال الأجنبي**» وأنا لا اعرف شيئًا عن هذا، لم أرَ حَربًا، أنا ملك في بيتي... كيف لي أن أفهمها؟ ولكن عندما أعبر الحدود (الكلام في قبرص) وأرى الكنيسة التي أقفلوها ودمّروها، وأحرقوا قرميدها وهي الآن خَرِبَة... وأرى البيوت هناك، مهجورة، بشبابيك مُخلّعة، مرميَّة على الأرض، مُحطّمة... عندها أفهم ما معنى «**الاحتلال الأجنبي**»...

أنا بحاجة لأن أصنع الرُبُط أو الارتباط: «ما معنى كل هذا؟» هذا ما يحدث مع العهد القديم. **الرَّبّ** كَشَفَ الكثير من الأمور هناك. وهناك ما يتعلّق بها في العهد الجديد وسير القديسين. لنقرأ قليلًا ونتعلّم أن نُرَدِّد الصلاة. إن مئة ألف من كلمات الصلاة المقروءة لا تحلّ محلّ بعض كلمات الصلاة: «ربي يسوع المسيح ارحمني» انظروا إنها بضع كلمات صغيرة.

إنَّها **مَجدَلة، شُكر، تَوَسُّل، إعتراف، لَاهوت وشهادة**. هذه الصلاة تشمل كُل شيء. **الرَّبّ** يفهم حتّى ولو لم نفهمها. أنا استطيع ان أُرَدِّد إلى ما لا نهاية: «ربي يسوع المسيح ارحمني» وقد لا افهم شيئًا، لكن **الرَّبّ** يفهم. **الرَّبّ** يفهم... وهذا هو الجزء الأهم، أنه يفهم. لذا علينا أن نُرَدِّد الصلاة.

إنه لأمر سهلٌ أَيُّها الأحباء! إنِ اهتممنا به، فسوف ترون، في خلال شهر، وبدون ايّ شك، كما ذكرتُ لكم، أنَّ قَلْبَكُم يفرح! ما من إنسان طلب شيئًا من الله ولم يحصل. وإلَّا لما كان هو الله. لذا، عندما نقول له: «أعطني الصلاة يا رب، ضعها في قلبي»، أَلَنْ يفعل ذلك؟

سوف يعطينا السعادة، يمنحنا السلام، يهبنا الفرح الاحتفالي، والدموع وكل شيء.

كلّ ما تريد الحصول عليه من خلال هذه الكلمات، من السماء ومن الأرض، سوف تراه وسوف يكون لك كذلك. سواء كان شيئًا مُحبّاً أو مَرئيًا، سوف تحصل عليه **والرَّبّ يمنحكَ إيَّاهُ!**

مِفتاح الحياة الروحيّة هو: صلاة يسوع (البارّ بورفيريوس)

✝ مفتاح الحياة الروحية هو صلاة يسوع (الأب بورفيريوس).

يستخدم آباء الكنيسة **صلاة يسوع** كأنجح طريقة لمناجاة الله: «**أيُّها الرَّبّ يسوع المسيح إرحمني**». مفتاح الحياة الروحيّة هو صلاة يسوع لا يمكن لأحد أن يُعَلِّمَهَا لَا الكتب ولَا الأب الروحي ولَا أحد، فالمعلم الوحيد هو **النعمة الإلهية**. إذا قلتُ لكم إنَّ العسل حلو، وهو سائل، وهو كذا وكذا، فَلَنْ تفهموا إذا لم تَتَذَوَّقُوهُ. هكذا هو الحال بالنسبة إلى الصلاة فإذا قلتُ لكم: «إنها هكذا وستشعرون هكذا ... الخ »، فَلَنْ تفهموا ولن تُصَلُّوا «إلَّا بالروح القدس». (١كور ١٢: ٣).

ولكي تدخُلوا في هذا القالب عليكم أن تبدأوا من الطاعة، فينبغي أَوَّلًا أن تبذلوا ذواتكم في سبيل الطاعة **كي يأتي التواضع**. وعندما يرى الرَّبّ التواضع يُرسل النعمة الإلهية، وبعد ذلك تأتي الصلاة من ذاتها بدون غَصْبٍ. إذا لم تُقَدِّموا طاعة، ولم تملكوا تواضعًا، فلن تأتيكم الصلاة. ويوجد خوفٌ عليكم **من الضلال**. استعدوا شيئًا فشيئًا، وبرفق. وَصَلُّوا صلاة يسوع في أذهانكم، كل ما هو في الذهن هو أيضًا في القلب.

✝ إنسان المسيح يجعل كل شيء صلاة

علينا أنْ نَعْهَد بكلِ مشاكلنا الماديَّة والجسديَّة وكل شيء إلى الله وكما نقول في القداس الإلهي: «...**لنودع ذواتنا ... وكل حياتنا للمسيح الإله**» . كل حياتنا لك يا رَبّ كما تشاءُ أنت، لتَكن مَشِيئَتُكَ كَمَا في السَّمَاءِ كَذٰلِكَ عَلَى الأَرْضِ.

إنسان المسيح يجعل كل شيء صلاة، الصعوبة والكآبة يجعلهما صلاة، تنفع الصلاة في كل شيء حتى في الأمور البسيطة، فمثلًا إذا كنت تعاني من عدم النوم، فلا تفكِّر في النوم. قم واخرج إلى الخارج قليلًا ثم عُدْ من جديد إلى الغرفة، وٱسْتَلْقِ على الفراش كما لأول مرة، دون أن تفكر بأنك ستنام أم لا. جَمِّع ذهنك وقل المجدلة «**المجد لله في العلى...**» ثم قُلْ ثلاث مرات «أيُّها الرَّبّ يسوع المسيح, إرحمني»، وهكذا يأتيك النوم.

يتم تدبير كل شيء بواسطة الصلاة، ولكن يجب أن تملك في داخلك **المحبة** كشعلة من أجل الصلاة. لا تقلق بل لتكن لديك ثقة بعناية الله، فكل شيء هو ضمن الحياة الروحيَّة، والكُلّ يتقدَّس، الخيرات والصعوبات، الماديات والروحيات، وكل ما تفعلونه، إفعلوه لمجد الله.

عندما نُصلي باستمرار سَيُنِيرُنَا الله وَيُرْشِدُنَا كل مَرَّة إلى ما نعمله، وحتى في المواقف الصَّعبة جدًا، سوف يُلهمنا الله في داخلنا، وَسَيَجِدُ الله طُرُقًا لذلك.

أيضًا عندما نفكر في مطالب خاصة من أجل الناس فعلينا ذكرها سِرِّيًّا ضمن الصلاة. **دعوا الاتصالات الهاتفية مع الآخرين، والمشاورات والكلام الكثير مع الناس**، فإذا لم يساعدنا الرَّبّ، فماذا ستنفع محاولاتنا الشخصِيَّة؟ إذًا ما علينا إلَّا بالصلاة، صلاة مع محبة، إنك تساعدهم أكثر من بعيد بواسطة الصلاة، تساعدهم بأسلوب أفضل وأكمل.

✝ عندما نُصلي من أجل الآخرين علينا أن نقول: «أيها الرَّبّ يسوع المسيح إرحمني»

صَلُّوا من أجل الكنيسة والعالم، من أجل الجميع. إذا صَلَّيْتُم فقط من أجل ذواتكم، فهذا **يُخفي مصلحة ذاتيَّة**. بينما إذا صليتم من أجل الكنيسة فأنتم أيضًا ضمن الكنيسة. في الكنيسة **المسيح مُتَّحِد بالكنيسة**، أيضًا مُتَّحِد بالآب والرُّوح القدس. الثالوث الأقدس والكنيسة هما واحد. ينبغي أن يتوجَّه شوقكم إلى موضوع **تقديس العالم**، وأن يصبح الجميع أخصاء للمسيح عندئذٍ تدخلون في الكنيسة وتعيشون في فرح الفردوس، في الله، لأنَّ كُلَّ مِلْءِ ٱللَّاهوت يسكن في الكنيسة. نحن جميعنا جسد واحد رأسُهُ المسيح، جميعنا **نُكَوِّن الكنيسة**. قوة الصلاة كبيرة جدًّا، وخاصة عندما تَتِمُّ من قِبَلِ إخوة كثيرين. في الصلاة الجماعية يتحد الجميع، علينا أن نشعر بقربنا كما نشعر بأنفسنا. هذه هي حياتنا وبهجتنا، وكنزنا وكل شيء سَهْلٌ في المسيح. **المسيح هو المركز**، والجميع يسارعون نحو المركز ويتحدون بروحٍ واحدةٍ وقلبٍ واحدٍ. والرَّبّ معنا آمين.

«مُبَارَكٌ هو الإنسان الذي يَتَقَدَّم تحت قيادة الجنرال الإلٰهي، المُجَنَّد في صفوف آلاف الآلاف من الناس، المُتَسَلِّحِينَ ضِدَّ الشَّرِّ بفضائل مختومة بصورة الملك (المسيح)».

لأن هذا هو الكمال المسيحي حَقًّا:

«عَدَمُ التَوَقُّف عَنِ النُّمُوِّ قَطُّ، نَحْوَ ما هُو أَفْضَل، وَعَدَم وضع أيِّ حَدٍّ لِمَسِيرَةِ الكَمَال»

القديس غريغوريوس النيسي

السُّكْرُ بِمَحَبَّةِ ٱللهِ

مَار إسحٰق السُّوري

أَحيانًا .. يُؤْخَذُ الفكر بعيدًا كما ولو إلى السَّماء، وتسقط الدموع مثل ينابيع مياه بشكل تَلقائي وتنقع الوجه كله. يكون ذلك الشخص كل هذا الوقت هادئًا وساكنًا ومتشبِّعًا برؤية مملوءة بالعجب. في أغلب الأحيان لن يُسمح له حتى بالصلاة: هذه هي في الحقيقة حالة توقُّف، أعلى من الصلاة، وذلك عندما يبقى الإنسان بشكل مستمر في الدهش والتعجب من عمل الله في الخليقة – مثل الناس الذين يُجَنُّون بالخمر، لأنَّ هذا هو «الخمر الذي يُفرح قلب الإنسان» (مز١٠٣: ١٥) ... مباركٌ هو الشَّخص الذي دخل من هذا الباب في خبرته الروحيَّة، **إذ أنَّ كل قوة الحِبْرِ والرَّسَائل والعبارات ضعيفة جدًا** للتعبير **عن بهجة هذا السر**.

إنَّ **محبة الله** لا يمكن أن تُثار في شخصٍ ما كنتيجة لِمُجَرَّدِ معرفته بالكتاب المقدس، ولا يمكن لأي إنسان أن يحب الله بإجبار نفسه ... لأنه إلى أن يَتَلَقَّى الشَّخص روح الإعلان، وتتحد نفسه –بكل دوافعها – مع تلك الحكمة التي من فوق، وَيُدْرِكَ في شخصه الخاص خواص الله السَّامية، ليس بِإمكانه أن يقترب من هذا المذاق المجيد الذي **لِلْحُب**. إنَّ الشَّخْص الَّذِي لم يشرب الخمر بالفعل فَلَنْ يَسْكَر نتيجة لمجرد ٱلْاسْتِمَاعِ لحديثٍ عن الخمر، كذلك الشَّخص الذي لم يُحسَّب مستحقًا لمعرفة الأمور الإلهية العالية فَلَا يستطيع أن يَسْكر بمحبَّة الله.

بنشوةٍ ممدوحة، يحلِّق القلب نحو الله ويصرخ قائلًا: «عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي. متى أجيء وأتراءى قُدَّام الله» (مز٤١). إنه فقط ذلك الإنسان الذي يشرب بعمق من هذه الخمرة، ثم بعد ذلك يُحرم منها، يعرف مقدار البُؤس الناتج عن تخلية النعمة، وما قد أُخِذَ منه بسبب تهاونه.

... من خلال مثل هذه اليقظة المقدَّسة والغيورة، يبدأ الإنسان بالتحرك نحو المحبة الإلهية، وحالًا يَسْكَر بها كما بالخمرة، أطرافه تصير هزيلة، وعقله يثبت في دهش مرهوب، وقلبه يتبع الله كأسير. يصير – كما قلت – كإنسان سَكران بالخمرة.

كالشخص الذي يشرب الخمرة ويسكر في يوم حداد، وينسى كل آلامه الحزينة، هكذا الشَّخص الذي يسكر بمحبة الله وهو في هذا العالم – **الذي هو بيت البكاء** – فينسَى كل أحزانه وضيقاته، ويصير غير مُبالٍ **بكل الأهواء الشريرة** من خلال سُكْرِهِ.

الاتضاع والأعمال الموجهة بشكل صحيح يجعلان الشخص إلهًا على الأرض. الإيمان والرحمة يدفعانه بسرعة في الطريق نحو النقاوة الصَّافية. حالة الاتِّقاد والحماس وحالة ٱنسحاق القلب لا يمكن أن يَسْكُنَا في نفس واحدة بشكل متزامن –**كما أن السكارى لا يمكن أن يتحكموا في تفكيرهم** – إذ أنه عندما تُعطى النَّفس هذه الحرارة، يؤخذ منها إنسحاق الحزن. إنَّ الخمرة أُعْطِيَت للفرح، والحرارة الروحيَّة أُعْطِيَت لابتهاج الرُّوح. إن الخمرة تُدفئ الجسم، أما كلمة الله فتدفئ الفهم. أولئك الذين يلتهبون بالحرارة الروحيَّة، يُفْتَنُون بتأملات الرَّجاء، **ويُخطف عقلهم إلى الدهر الآتي**. وكما يتصور السَّكارى بالخمر **هلوسة متنوعة**، كذلك السَّكارى الحارِّين بالرجاء لا يكونون واعين لا بالضِّيقات ولا بأيِّ شَيءٍ دنيوي.

المحبةُ مُتَّقِدَةٌ بالطبيعة، وعندما يهبط الحُبّ بشكل لا حَدَّ له على إنسان، يطرح نفسه في نشوة عامرة. لذلك قلب الإنسان الذي شعر بهذا الحُبّ لا يستطيع إحتواءَه أو تحمُّله. هذا هو الهوى الروحي الذي سَكِرَ به كلٌ مِنَ **الرُّسل والشهداء**. بهذا الحُبّ، **طاف الرسل العالم كله**، في كَدٍّ وَتَعَبٍ وٱحْتمالٍ لِلْإِهانَةِ، والشُّهداء بالرغم من بَتْرِ أعضائهم، وبالرغم من أنهم سفكوا دماءهم مثل الماء، وعانوا من عذابات مُرَوِّعَة، إلَّا أنَّهم لم يكونوا جُبناء بل تَحَمَّلوا بشجاعةٍ، **وَظَنَّ العالم أنّهم جُهَلَاء**، إلَّا أنَّهم كانوا حُكماءَ حقًا (١كو٣). « تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَ وَجِبَال وَمَغَاوِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ.» (عب١١) ، **ووسط الفوضى** كانوا مُنَظَّمِين بشكلٍ جَيِّدٍ جِدًّا ... ليت الرَّبّ يمنحنا نحن أيضًا أن نُحَقِّقَ مثل هذا الجنون!

ذاك الذي بلغ إلى محبة الله، لا يرغب بعد في البقاء في هذه الحياة، «لأَنَّ الْمَحَبَّةَ الْكَامِلَةَ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ» (١يو٤).يا أحبائي، لقد صِرْتُ غبيًا، ولا أستطيع حراسة السِّرّ في صمت، صرت غبيًّا (٢كو١٢) من أجل منفعة إخوتي. إذ إنَّ المحبة الحقيقية غيرُ قادرةٍ على البقاء في أيِّ سِرٍّ من دون أحبائها. كثيرًا وأنا أكتب هذه الأمور، تخونني أصابعي في تسجيل كل شيء على الورق، غير قادرة

على تحمل الحلاوة التي انحدرت في قلبي وَأَسْكَتَتْ حواسّي. **إنَّ الفرح الذي في الله هو أقوى من هذه الحياة الحاضرة.** إنَّ الحُبَّ أحلى من الحياة، والفهم الذي بحسب الله الذي يتولَّد منه الحُبّ، هو أحلى من العسل الموجود في قرص العَسَل.

عندما نجد الحُبّ، **نتناول الخبز السماوي**، ونتقوّى بدون جُهْدٍ أو عَناء. الخبز السماوي هو **المسيح**، الذي نزل من السماء وأعطى الحياة للعالم (يو٦: ٥٠). هذا هو **غذاء الملائكة**. الشخص الذي **يجد الحُبّ يأكل ويشرب المسيح كل يوم وكل ساعة**، ومن ثم يصير خالدًا. فهو يقول: «أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَ إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ». (يو٦: ٥١). مباركٌ ذلك الذي يأكل خبز الحياة أي يسوع! ذاك الذي يأكل الحُبّ يأكل المسيح، الإله على الكل ... الحُبّ هو الملكوت الذي بشأنه وعد الرب تلاميذه – بشكل باطني – أن يأكلوه في ملكوته. الحُبّ كافٍ لتغذية الإنسان بدلًا من الطعام والشراب. هذا هو الخمر الذي يفرح قلب الإنسان (مز ١٠٤). مباركٌ ذلك الذي يتناول من هذا الخمر! **الأشخاص الفاجرون** شربوا من هذه الخمرة **وصاروا عفيفين**، **الخَطأَةُ** شربوا منه ونسوا طرق الزلل والتعثُّر، **السَّكارى** شربوا من هذه الخمرة **وصاروا صوّامين**، **الأغنياء** شربوا منها **وطلبوا الفقر**، **الفقراء** شربوا منها **وآغتنوا بالرَّجاء**، **المرضَى** شربوا منها **وصاروا أقوياء**، **الجُهَّال** أخذوا منها **وصاروا حكماء**.

وحيد القرن

القديس باسيليوس الكبير

«والمحبوب مثل ابن وحيد القرن» (مز ٢٨ سبعينية).

الابن الوحيد الذي يُعطِي حياته للعالم، حينما يُقَدِّم نفسه كذبيحة وقربان لله عن خطايانا، يُدعى حمل الله ويدعى أيضًا الخروف: «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ» (يو١)، وأيضًا: «مِثْلَ شَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ، وَمِثْلَ خَرُوفٍ صَامِتٍ أَمَامَ الَّذِي يَجُزُّهُ هكَذَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ.» (أع٨: ٣٢)، لكن عندما يكون من الضروري الانتقام، وأن يطيح بالقُوَّةِ التي تُهاجم الجنس البشري – **هذه القوة (الشيطانية) العنيفة والوحشية** – آنذاك يُدعى **«ابن وحيد القرن»**.

لأنه كما تَعَلَّمْنَا من سفر أيوب، أنَّ وحيد القرن هو مخلوق لا يُقاوم في جبروته، وغير خاضع للإنسان. فهو يقول: «لا تستطيع أن تربطه بحبل أو تجعله يبيت عند معلفك» (أي ٣٩). وهناك أيضًا الكثير الذي قيل عن هذا الحيوان في هذا الجزء من النبوءة، الذي يتصرف مثل إنسانٍ حُرٍّ، وغيرِ خاضع للبشر.

لقد لاحظنا أنَّ الكتاب المقدس قد استعمل تشبيه وحيد القرن في حالتينِ اثنتين، في الأولى **كَمَدْحٍ** وفي الأخرى **كَذَمٍّ**.

يقول مثلًا: «أنقذ من السيف نفسي .. ومذلتي من قرون بقر الوحش» (مز ٢٢). قال هذه الكلمات مشتكيًا من الناس المحاربين الذين قاموا بالتَّمَرُّدِ ضِدَّهُ في وقت آلامه. ويقول أيضًا: «وتنصب مثل بقر الوحش قرني» (مز ٩٢). يبدو أنه بسبب سرعة الحيوان في صَدِّ الهجمات نجده يُمثِّل مرات كثيرة الأمور الخسيسة، وبسبب قرنه العالي وحريته يُخصَّص لتصوير الأفضل.

لذا بما أنه في الكتاب المقدس يمكن أن تجد كلمة «قرن» تُستخدم في مواضع كثيرة بدلًا من كلمة «مجد»، كما في قوله: «يرفع قرن شعبه» (مز ١٤٨)، وأيضًا: «قرنه ينتصب بالمجد» (مز١١٢)، وأيضًا بما أن كلمة «قرن» تُستخدم كثيرًا بدلًا من كلمة «قوة»، كما في قوله: «تُرسي وقرن خلاصي وملجأي» (مز ١٨)، وحيث **أَنَّ السَّيِّد المسيح هو قوة الله**، لذا فهو يُدعى **«وحيد القرن»** على أساس أن له **قرنًا واحدًا، أي قوة واحدة مشتركة مع الآب**.

«أتوسّلُ إليك ألَّا تبحث عن مكسب دُنيويّ مِن وراء خِدْمَتِكَ تحت راية المسيح، وألَّا تَسعَى إلى فوق ما كُنْتَ عليه من ثَرْوَةٍ عندما قرَّرت أن تسير على خُطاه.

إنَّنا نقع على نُسَّاك أوفَرَ نعمة في الصحراء ممّا كانوا عليه في العالم، ونقع على رجالِ دين اختاروا العيش بفقر المسيح يسوع فإذا بهم أوفر ثروة مما كانوا عليه يوم كانوا يعيشون في العالم.

تجنَّب تجنُّبَ الطَّاعون رَجُل دِين يَتَعَاطَى الأُمُور المادِيَّة فيقفزُ من فَقْرٍ إلى غِنًى وَيَزْهُو مُعْتَدًّا».

القديس جيروم (ايرونيموس) ــ رسالة 52

عِظةٌ بٱمتيازٍ

بمناسبة بدء الصَّوم الأربعينيّ المُقَدَّس

نصيب ٱثنين من روحك عليَّ – للقديس سمعان اللَّاهوتي الحديث

أَيُّها الأخوة والآباء والأبناء،

رَوَى لي أحد الشَّبابِ هذه القصة:

«كنتُ تلميذًا مُبتدئًا لأبٍ جليلٍ، أبٌ على درجةٍ عاليةٍ من الروحانيَّة تُضاهي القديسين العظماء الأمجاد. وكثيرًا ما كنت أسمع منه عن **الإضاءات الإلهية المُرسلة من السَّماء** لأولئك **الغيورين في الجهاد الروحي**، والتي تشمل فيضان النور، والمحادثات التي تحدث بين **الله والإنسان**، وكنت أتعجب للغاية».

ثم ٱسترسل قائلًا: « وكانت رغبتي وشوقي لنوال تلك البركة، عظيمةً جدًا، حتى أنَّني – كما أعتقد – نسيتُ معها جميع الأمور الدنيويَّة والسماويَّة، لدرجة أنَّني كنت أنسى حتى الأكل والشرب والراحة الجسديَّة».

«إلَّا أنَّ هذا الرجل كان قديسا عظيمًا (هو الآن من بين القديسين)، رجلٌ عنده موهبة النبوة. عندما رآني أُنَفِّذُ الأشياء التي رَتَّبَها لي بغيرةٍ شديدةٍ، حتى منعتُ الأكل والشُّرب، فَضَعُفَ جسدي جدًا كما ولو كان يَنْحَلُّ نتيجة سُمٍّ، أعطاني أمرًا صَارمًا – نتيجة شفقته الكبيرة عليَّ – **بالأكل**، فأكلتُ كُرهًا إذ كنتُ خائفًا من **خطيَّة عدم الطاعة**. كلما كنتُ أتناول الطعام، كنت أحترق من الداخل، إذ كنت لا أستطيع تحمل هذا الإكراه (بالأكل). وكانت الدموع تنهمر مني بغزارة، حتى كثيرًا ما غادرتُ المائدة. في حماقتي، كنتُ أظُنُّ أنَّهُ يضع العراقيل أمام حماسي ورغبتي، نتيجة لجهله بالألم الكبير الذي أعانيه في الداخل. ولم أكن أعرف – **أنا الحقير البائس** – أنَّه كان على عِلْمٍ حتى بأفكار قلبي المخفيَّة، كما سيظهر مما يلي.

«وحدث في يوم من الأيام، أنَّنا ذهبنا للمدينة القريبة، من أجل ٱفتقاد أبنائه الروحيين. أمضينا اليوم بأكمله هناك بينهم، إذ أنَّ الكثيرين كانوا ينتفعون منه حتى بمجرد حضوره بينهم. وعند المساء رجعنا إلى القلاية جوعى وَعَطْشَى نتيجة المجهود الكبير والحَرّ المُضْنِي، إذْ أنَّ الأب لم يكن يأخذ قيلولة قط مهما كانت حرارة الجوّ، بالرَّغم من عمره الذي كان يناهز الستين عامًا. عندما جلسنا لنتناول بعض الخبز لم آكل إذ كنت منهوك القِوى بسبب التعب. وكنت أعتقد أنني لو تناولت أي طعام أو شراب، فلن أستطيع أبدًا الوقوف للصلاة، وطلب ما أريده من الله. هذه كانت أفكاري في داخلي وأنا جالس هناك.»

«عندما رآني القديس، ونظر إلى الجُهد الذي أتكبَّده، أَدْرَكَ سبب معاناتي، نظرًا لأنَّه – كما ذكرتُ – كان يَتَحَلَّى **ببصيرة وشفافية عالية**. وتحدَّثَ إليَّ بتعاطُفٍ كبيرٍ، وأمرني بشكلٍ قاطع: « يا بني، كُل وٱشرب ولا تكن حزينًا من الآن فصاعدًا. ما لم يكن الله قد أراد ان يتحنَّن عليك ما كان قد ٱرتضى بأن تأتي إلينا». فأكلنا وشربنا – بل وأكثر من الحاجة – إذ أنه هو أيضًا أكل معي ليضع نفسه على مستوى ضعفي.

وبعد أنِ ٱنتهينا من الوجبة، قال لي: « إعْلَم يا بُنَيّ، أنَّه لا الصَّوم ولا السَّهر ولا الجُهد الجسدي ولا أي عمل آخر جديرٌ بالثناء – من الأعمال التي ترضي الله – يجعله يظهر لنا، لكن فقط: **نفس وقلب متضع وبسيط وصالح**». عندما سمعت هذا الكلام تعجبتُ من موعظة **الأب القديس**. وأكثر من أيِّ وقتٍ مضى كنت أحترق غيرة وشوقًا. وبٱنتباهِ عقل، إسترجعت في لحظة واحدة كل خطاياي وٱنسكبت الدموع بغزارة من عَيْنَيّ. وٱنطرحت عند قدميه المقدستين وأمسكتهما، وقلتُ له: «صَلِّ من أجلي يا قديس الله، حتى ما أجد رحمة من خلالك، إذ أَنَّ لا شيء من الأشياء الحسنة التي ذكرتها تَخُصُّنِي، بل فقط **خطايا كثيرة**، كما تعلم أنت جيدًا ».

إلَّا أَنَّ الأب القديس أَظْهَرَ لي تَعاطفًا كبيرًا وذرف الدُّموع، ثم طلب مني النهوضَ من الأرض وقال: «إنِّي واثقٌ ومتيقِّنٌ أَنَّ الله الذي أنعم عليَّ بنعمة وفيرة، سوف يُنعِم عليكَ أنت أيضًا بنصيبٍ مُضاعفٍ من النعمة، وذلك بسبب الإيمان التي تُظهره تُجاهه، وتُجاه نفسي الحقيرة». وهكذا تَقَبَّلْتُ هذا القول كما ولو أنَّهُ صادرٌ من الله ذاته، وتذكرتُ ما فعله إيليا النبي مع إليشع تلميذه (٢مل٢) وآمنت أنه مهما كانت درجة عدم ٱستحقاقي إلَّا أَنَّ الله متعطفٌ وكريمٌ على الانسان، « قريبٌ لكل الذين يدعونه... يعمل رضى خائفيه» (مز١٤٥). مرَّة أخرى ٱنحنيت في وقارٍ، وطلبتُ منه الصلاة من أجلي، ومضيت إلى قلايتي، بعد أن نصحني بتلاوة تسبحة الثلاث تقديسات ثم الذهاب إلى النوم».

«وهكذا دخلتُ إلى الموضع الذي ٱعتدتُ الصلاة فيه، مُتَنَبِّهًا لكلمات أبي القديس، وبدأت في الصلاة: «قدوسٌ الله ...». ولِلتوِّ

تحركت مشاعري فذرفتُ دموعًا كثيرة ممتلئًا بالشَّوق والمحبة نحو الله، لدرجة أنَّني لا أستطيع الوصف بالكلمات مقدار الفرح والبهجة التي شعرتُ بها. فٱنطرحتُ ساجدًا على الأرض وللتوِّ رأيتُ وشاهدتُ نورًا عظيمًا غير مادي مُشْرِقًا عَلَيَّ، وفقدتُ التَّحَكُّمَ كليَّة بعقلي ونفسي، وَأُصِبْتُ بذهولٍ على الأعجوبة المفاجئة، وصرتُ في حالةِ نشوةٍ ودهشٍ.

علاوة على ذلك، نسيتُ المكان الذي أقف فيه، نسيت من أنا، نسيت أين أنا، ولم أستطع سوى الصراخ: «يارب ٱرحم»، إذ أنَّني عندما رجعتُ إلى نفسي ٱكتشفتُ أنَّني أُرَدِّدُ هذه الكلمات. لكن أيُّها الأب – قال لي – من هذا الذي كان يتكلم فيَّ، ومن حرَّك لساني، لا أعلم، فقط الله يعلم. تحدثتُ مع **هذا النُّور** «أَفِي الْجَسَدِ أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ.» (٢ كو١٢: ٣). **النُّور نفسه** هو الذي يَعْلَمُ، **والنُّور** بَعْثَرَ كُلَّ ما في نفسي **من ضبابٍ، وطرحَ عنِّي كُل ٱهتمام دنيوي. وطردَ منِّي كُل كثافة ماديَّة وثقلٍ جَسَدِيٍّ، وجعل أعضائي مستكينة وخَدِرة.** ما أَرْهَبَ هذه الأعجوبة!! لقد أَنْعَشَتْ وَعَزَّزَتْ أطرافي وعضلاتي بقوّة، والتي كانت قبلًا ضعيفة من جراء الإرهاق المُضْنِي، وتراءَى لي وكأنَّني أتعرَّى من لباس الفساد. إلى جانب ذلك، تَدَفَّقَ في نفسي بشكلٍ لا يُوصف فرحٌ روحانيٌّ رائعٌ وإدراكٌ وحلاوةٌ تتجاوز كل تذوُّق يخص الأشياء المرئية، بالإضافة إلى الحُرِّيَّة ونسيان كل ما هو يتعلق بهذه الحياة. وبشكلٍ عجيب، وهبني الله وَكَشَفَ لي طريقة الرَّحيل عن هذه الحياة الحاضرة. وهكذا، كانت كل تصورات عقلي ونفسي مُركزة تركيزًا كُلِّيًّا في الفرح الذي لا يوصف **الذي لهذا النور**».

ثم أضاف: « ولكن بعد أن ٱبتدأ النور اللانهائي – إذ أنَّني لا أجد وصفًا آخر أكثر لياقة لكي أدعوه به – الذي ظَهَرَ لي، في الانزواءِ بشكلٍ ما تدريجيًا، وٱنسحَبَ بِلُطْفٍ، إستعدت ٱمتلاك ذاتي وأدركت تأثير قدرته، وما فعله بي بشكلٍ مفاجِئ. وتأملتُ في رحيلهِ، وتعجبتُ كيف تركني مرَّة أخرى لِأَعيشَ في هذه الحياة وحيدًا. وٱنتابني حُزْنٌ وَأَلَمٌ شديدٌ جدًا لا يُمكِنُني وصفه بشكلٍ مناسب: إذ ٱضطرم كَنَارٍ في قلبي أَلَمٌ حَادٌ جدًا. تخيَّل يا أبي إن ٱستطعت تقدير الألم الناتج من الانفصال **عن النُّور، لا نهائية الحُبّ**، شِدَّةُ آلامي، مهابة ورفعة هذه البركة الأكثر عظمة! أنا من جانبي لا أستطيع التعبير بالكلمات أو الإدراك بالعقل: **لا نهائية هذه الرؤية**».

فقلتُ له: « ولكن قل لي بالضبط أيها الأب والأخ الموقَّر ما هو تأثير ما رأيت على نفسك بأكثر وضوحًا ».

لكن هذا الرجل العزيز المملوء بالروح القدس، الذي حُسب مستحقًا لهذه الخبرة الروحيَّة، حالًا جاوبني بصوتٍ لطيفٍ يَنْسَابُ كَٱلْعَسَلِ: «يا أبي، عندما يظهر النور، يملأ النفس بالفرح وعندما يختفي **يجرح**. أنه يقترب مِنِّي ويحملني إلى السماء». «إِنَّهُ مِثْلُ اللُّؤلؤة الكثيرة الثَّمَن» (مت ١٣). النُّور يُغلفني ويظهر لي مثل نجم، وهو غير مُدرك للجميع. إِنَّهُ يَشِعُّ مثل الشَّمس، وأرى أَنَّ كل الخليقة مطوّقة به. أنه يُظهر لي كل ما يحتويه، وفي نفس الوقت يُحتّم عليَّ ٱحترام حدودي الخاصة. أنا محصور في الداخل بين سقف وجدران إِلَّا أنه يفتح لي السماوات. أرفع عيونَ عقلي لكي أتأمل الأشياء السَّامِيَةِ، وأرى كل شيء كما كان من قبل. وأتعجب مما حدث فأسمع صوتًا يتحدث إليَّ سِرًّا من فوق قائلًا: «**هذه الأشياء ليست سوى رموز وتذوقات أوليَّة، إذ أنك لن ترى ما هو كامل طالما أنت في الجسد. لكن ٱرجع إلى نفسك، وٱحرص ألَّا تفعل شيئًا يُحرمك من الأمور السماوية. وإذا سقطتَ، فلتكن السَّقطة تذكرة تُعيدك إلى حالة ٱلاتضاع! لا تتوقف عن زرع أعمال ٱلتوبة، لأنه عندما تتحد ٱلتوبة بمحبتي للبشر تمحو الإخفاقات ٱلماضية وٱلحاضرة**».

عندما سمعت هذه الأمور منه، أَيُّها الآباء والأخوة، صرتُ إلى حَدٍّ ما في نشوة وٱرتجفت كليًا. وأدركتُ علو درجة التأمل والمعرفة التي صعد إليها بٱستعدادٍ، لمجرد أنَّه أَحَبَّ وَوَثِقَ بِأَبِيهِ ٱلرُّوحِيّ. ومن بداياته الأولى مُنِحَ أن يرى ويتمتع بمثل هذه البركات، كما ولو أنه قد طَرَحَ بعيدًا الضَّعف البشري وصار ملاكًا بدلًا من إنسان.

لِذَا أتوسل إليكم، أيها الأخوة في المسيح، لنطرح عنا بعيدًا كل ٱرتباطات وٱهتمامات هذه الحياة الحاضرة. لِنَكْرَه مسرات الجسد، والرَّاحة الجسدية والتواني والكسل، التي بها يتغلب الأردأ على الأفضل. دعونا نتسلح بالإيمان الأصيل نحو الله، ونحو آبائنا ومعلمينا الذين يعيشون بحسب الله. وَلْنُنَقِّ نفسًا متواضعة، وقلبًا منسحقًا، قلبًا متطهرًا **من كل قذارة ودنس الخطيَّة** من خلال الدموع والتوبة، حتى نُحسب نحن أيضًا مستحقين، ولكي نصعد لمثل هذه الارتفاعات في الوقت المناسب، حتى يمكننا أن نرى ونتمتع – حتى هنا والآن – بهذه البركات الفائقة الوصف التي للنُّور الإلٰهي، على الأقل جُزئيًا إن لم يكن بشكلٍ كاملٍ، وبحسب قدر ٱستطاعتنا. وهكذا نتحد بالله والله يتَّحد بنا. ولأولئك الذين يقتربون منا نكون لهم نورًا وملحًا (مت ٥) لأجل منفعتهم في المسيح يسوع ربنا، الذي له المجد إلى الأبد آمين.

النَّظراتُ ٱلمُحرَّمة وٱلمَاجِنَة

للقديس يوحنا الذهبي الفم

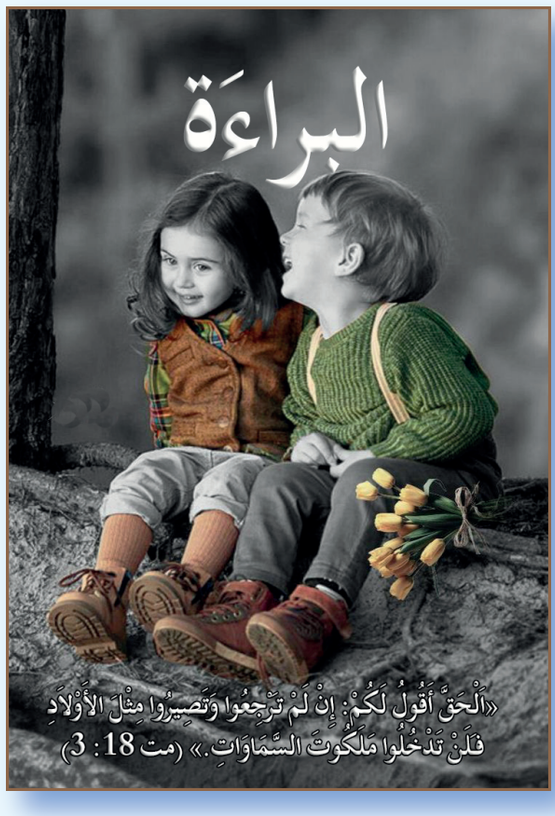

«وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ.» (إنجيل متى ٥ : ٢٨). أي ذلك الذي يجعل شُغله الشَّاغل التَّطلُّعَ بفضولٍ نحو الأجساد المثيرة، وأن يُطارد المَعَالم الرَّشيقة، وأن يُمتّع نفسه بالمشهد، وأن يُثبت عينيه على الوجوه الجميلة. إذ أنَّ المسيح جاء ليحَرِّرَ من كل **الأعمال الشريرة ليس الجسد فقط بل النفس أيضًا قبل الجسد**، فهو يُطَهِّر القلب أولًا لأننا نقبل نعمة الروح في القلب.

ربما يتساءَل شخصٌ: وكيف يمكن **التَّحَرُّرُ من الرَّغْبَةِ**؟ أُجيب أولًا إذا كانت لدينا الإرادة فمن الممكن حتى أن تُخَمَد وتبقى خاملة.

ثانيًا، هو لا يريد ٱنتزاع الرغبة تمامًا هنا، بل تلك الرغبة **التي تنبع من النظر**، لأن ذلك الشخص الفضولي للنظر إلى الوجوه الجميلة هو غالبًا **الذي يُضرم أتون هذه الأهواء بنفسه**، ويجعل نفسه أسيرة لها، وسرعان ما يمضي أيضًا إلى الفعل.

هذا ما يُصحِّحه حتى **العهد القديم** من البداية، قائلًا: «لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ». (خر ٢٠: ١٧)، ولئلَّا يقول أحدٌ: «**ماذا لو نظرت دون الوقوع في الأسر**»، يعاقب الرَّبّ النظرة، لِئَلَّا تقع يومًا ما في الخطيَّة وأنت تظن أنك في مأمن منها. قد يقولُ أحدٌ: «**ماذا لو نظرتُ وٱشتهيت حقًا، لكن دون أن أفعل شرًا؟**». رغم ذلك أنت محسوبٌ **بين الزُّنَاة**. لأن المُشرِّع نطق بذلك، ولا يجب أن تطرح أية أسئلة أخرى. لأنك إذا نظرتَ مرة أو مرتين أو ثلاثًا قد يكون لديك القوَّة للامتناع، لكن إذا كنتَ تفعل ذلك بٱستمرار، وتُشعل أتون الشَّهوة، فإنَّكَ ساقطٌ لا محالة، لأن وضعك لا يفوق طبيعة سائر البشر. ونحن إذا رأينا طفلًا يمسك سكينًا، نضربه بالرغم من أنَّنا لا نراه قَد آذَى نفسه، ونمنعه من إمساكها مرَّة أُخرى، هكذا ينزع الله **النظرة غير العفيفة حتى قبل الفعل**، لئلا تسقط في أيِّ وقتٍ بالفعل أيضًا. لأنَّ ذلك الشخص **الذي أضرم نار الشهوة مرّة**، حتى عندما تكون المرأة التي تطلع إليها غائبة، فإنه يشكل في نفسه خيالات **لأمورٍ مخزية بشكلٍ مستمر**، وغالبًا ما ينتقل منها حتى إلى الفعل. لهذا السبب، ينزع المسيح حتى **ذلك العناق** الذي في القلب فقط.

من الممكن للإنسان حقًا أن ينظر بطريقةٍ أخرى، مثل نظرات الأطهار، ولهذا السبب لم يمنعنا من النظر بالكليَّة بل **مَنَعَ النظرة المصحوبة بالشَّهوة**. لأن الله لم يخلق عينيك لهذا الغرض أبدًا – **لكي تكون سببًا في الزِّنى** – لكنه خلقها لكي **تُمجد الخالق عندما تعاين مخلوقاته**.

لكن إذا كنتَ متلهفًا للتطلع إلى الجمال الذي يخص الآخرين، فأنت تجرح زوجتك بالسَّماح لعينيكَ بالتجوال في مكان آخر، وتجرح أيضًا تلك التي تتطلعتَ إليها، بلمسها بشكل غير شرعي. إذ بالرغم من أنك لم تلمسها باليد، قد داعبتها بعيونك، **لهذا يُحْسَب ما تفعله زنى، وعاقِبَةُ هذا الجرم ليست هينة. إذ يمتلئ ذلك الشخص بالانزعاج والاضطراب، وتكون التجربة شديدة، والوجع مُؤلمًا، فتكون حالة ذلك الإنسان أسوأ حتى من الأسير أو من الشخص المكبَّل بالقيود**. والمرأة التي أطلقت السَّهم، كثيرًا ما تمضي إلى حالها، بينما يظل الجرح رغم ذلك باقيًا. أو بالأحرى، ليست هي التي أطلقت السَّهم، **بل أنت الذي أصبت نفسك بالجرح المميت بنظراتك غير العفيفة**. وهذا أقوله لأعفي النساء المعتدلات من المسئُولية. **لأنه من المؤكد، إذا تزيَّنت إحدى النساء وٱجتذبت نحوها عيون الناس في الطريق، فهي تتحمل العقوبة القصوى حتى وإن لم تفتن من يقابلها، ، لأنها خلطت السُّمَ، وَأَعَدَّتِ ٱلشَّرَابَ ٱلمَسْمُومَ**، حتى وإن لم تقدمه في كأس. أو بالأحرى، هي قدمت الكأس أيضًا، لكن لم يوجد أحد ليشربه.

«فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ» (مت٥: ٢٩-٣٠) ... لماذا ذكر العين اليمنى ثم أضاف اليد اليمنى؟ لكي يريكم أنه لا يتكلم عن الأطراف بل عن **أولئك الأشخاص القريبين منَّا**، فهو يقول: «**إذا كنتَ تحب شخصًا ما، كما لو أنَّه في محل عينك اليمنى، إذا كنتَ تظن أنه ذو قيمة كبيرة بالنسبة لك حتى أنك تُقَدِّره في مكانة يدك، وهذا الشخص يؤذي روحك، فيجب**

عليك أن تقطعه». تأمل توكيد المعنى، فهو لا يقول «إنسحب منه»، بل يقول «**أقلعه وألقه عنك**» لِيُظهر الانفصال الكامل.

«لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ.». فهو إذا كان لا يعمل لخلاص نفسه، وإذا نجح في تحطيمك فما الفائدة من غرق الأثنين معًا، بينما إذا انفصلَا فإن واحدًا على الأقل سوف ينجو.

ينطبق هذا الأمر على الرجال والنساء، إذا كان الشخص الذي يؤذيك بصداقته يستمر هكذا بدون علاج، فإنَّ قَطْعَهُ عنك يُحَرِّرُكَ من كل ضرر ناتج عنه، وهو أيضًا سوف يَتَحَرَّرَ من الاتهامات التي تُثْقِلُ كاهله فلا يكون عليه أن يجاوب عن هلاكِكَ بالإضافة إلى **أعماله الشريرة الخاصة**.

أترى كيف أنَّ الوصية مليئة باللطف والعناية الإلهيَّة، وما يبدو للإنسان **قُسوة** يكشف عن **عمق المحبة نحو الإنسان**. **ليت أولئك الذين يُسرعون بالذهاب إلى المسارح ويجعلون من أنفسهم زناة كل يوم يصغون لهذه الأمور**. لأنه إذا كانت الوصيَّة تأمر بقطع ذلك الصديق الذي يؤذينا ٱرتباطُنَا به، فأيُّ عُذرٍ يكون لأولئك الذين يتردَّدُون على تلك الأماكن، ويجتذبون إليها كل يوم حتى الذين لا يعرفونهم، **فيجمعون لأنفسهم فرص هلاك بلا عدد**. لهذا منع المسيح ليس فقط النظر غير العفيف، لكنه أيضًا بعدما أشار لما يتبعها من ضرر، **شَدَّد في الوصية وأمر بالقطع والفصل والطرح بعيدًا**. وكل هذا رتَّبه ذاك الذي نطق بأقوال المحبة بلا عدد، حتى تتعلم بكل وسيلة **عِنَايَتَهُ الإلٰهية، وكيف يسعى لمنفعتنا بكل وسيلة**.

Reference: Commentary on Matthew, Homily 17, Saint John Chrysostom, NPNF

أَبْعَادُ الصليب

المغبوط أُغسطينوس

يفهم المرء بحقٍ عن الصليب ما أشار إليه **الرسول بولس قائلًا**: «مَاهُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلُوُ.» (أف ٣: ١٨).

لأنه حقًا إتساع عارضة الصليب، حيث تتمدَّد أيدي المصلوب، تشير إلى الأعمال الصالحة في ٱتساع المحبة.

والصليب طويل بعارضته الرأسية حتى إلى الأرض، حيث يثبت الظهر والأقدام، ويشير إلى المثابرة والاحتمال طول الوقت حتى النهاية.

والصليب يرتفع في الجزء العلوي، حيث تمتد العارضة في الاتجاه الصاعد، وهذا يشير إلى الغاية والهدف السماوي الذي تتجه إليه كل الأعمال. لأن كل الأشياء التي يتم عملها بشكل حسن وبمثابرة، في العرض والطول، ينبغي أن تتم بالنظر إلى علو المكافآت الإلهية.

والصليب عميقٌ في هذا الجزء الذي يتمّ تثبيته في الأرض، فهذا الجزء في الواقع مخفيٌّ ولا يمكن رؤيته، لكن كل أجزائه الأخرى، الواضحة والبارزة، ترتفع منه، كما هو الحال مع كل أمورنا الصالحة من دون استثناء والتي تنبع من عمق نعمة الله – التي لا يمكن فهمها أو فحصها.

لكن حتى لو كان الصليب يشير فقط إلى ما قاله الرسول بولس: « وَلكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ.» (غل٥: ٢٤)، فما أجمل وأعظم هذا المعنى!! إلَّا أنَّهُ فقط **الروح الصالح** الذي يشتهي **ضد الجسد** هو الذي يتمِّم ذلك، بالرغم من أن **العدو – أي الروح الشرير** – هو الذي تسبب في **صليب المسيح**.

أخيرًا، كما نعلم جميعًا، ما هي **علامة المسيح إلَّا صليب المسيح؟**

وما لم تُستعمل هذه العلامة إمَّا على جباه أولئك المؤمنين، أو على المياه ذاتها التي بواسطتها يولدون ثانية، أو على الزَّيت الذي بواسطته يتم رشمهم بالميرون، أو على الذبيحة (الإفخارستيا) التي بواسطتها يتغذون، لا شيء من هذه الأمور يكون قد تَمَّ إجراؤُهُ بحسب الطقس الصحيح. لأنه في الاحتفال بالأسرار المقدسة، كل شيء صالح ينفعنا بواسطة **صليب المسيح**.

عملية الشفاء
من الخوف والإنزعاج
للقديس كيرلّس الإسكندري

« مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.» (يوحنا١٢:٢٥)

«لا ينبغي أن تَعْثُر من كوني سأتألم، ولا ينبغي أن تشكّ في الكلمات التي تكلمت بها، بل بالحريّ يجب أن تَتَهَّيأ مُقدمًا لهذه الآلام، لأن من يظن أنه من المناسب أن يحرص على حياته هنا، ولا يريد أن يعرضها للأخطار من أجلي، فهو **سيضيعها** في الزمان الآتي. أما من يعرض حياته للأخطار في هذا العالم الحاضر فهو يزخر لها مكافآت عظيمة (زخر الشيء : ملأه) ، ومن يحتقر حياته في هذا العالم فإنه سيحصل على الحياة التي لا تفنى في الدهر الآتي.». فالرَّبّ يعني **بمحبة النفس التشبُّث بها بقوَّة**، كما يتضح في حالة أولئك الذين لا يعرّضون أجسادهم للأخطار.

«إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي فَلْيَتْبَعْنِي» (يو١٢:٢٦)

ما يقوله الرَّبّ هو شيء من هذا القبيل: « إن كنتُ أنا من أجل منفعتكم أُعرّض نفسي للموت، ألَا يكون من الجبن من جهتكم أن تنفُروا من ٱحتقار حياتكم المؤقتة لأجل التمتع بالفوائد الخاصة بكم، وأن تنفُروا من الحصول على الحياة التي لا تفنى عن طريق موت الجسد؟ إنْ الذين يبغضون حياتهم الخاصة بٱحتمال الألم والذين يعرضونها للموت، إنما هم يحفظونها للبركات الأبدية. وأيضًا، الذين يحيون في النُّسك يبغضون حياتهم الخاصة، ولا يخضعون للملذات الخاصة بمحبة الجسد. لذلك فما صنعه المسيح بتألمه من أجل كل الناس، إنما فعله لكي يكون مثالًا للشجاعة الرجوليَّة، مُعَلِّمًا الذين يرغبون في البركات المرجوة، أن يكونوا غيورين في ممارسة هذه الفضيلة. فهو يقول، إنه يلزم لأولئك الذين يريدون أن يتبعوني، أن يظهروا شجاعة رجوليَّة، ويظهروا ٱحتمالًا مثلي، لأنهم بهذا فقط سينالون إكليل النصرة.»

« وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضًا يَكُونُ خَادِمِي»

وحيث أَنَّ رئيسَ خلاصنا سار **ليس** في طريق المجد والتنعم، **بل في طريق المهانة والضيقات**، هكذا ينبغي أن نفعل نحن أيضًا، ولا نشكو، وذلك **لكي نصل إلى نفس المكان** ونشترك في المجد الإلهي.

وهل سنكون جديرين بأيّ كرامة، إذا رفضنا أن نحتمل الآلام مثلما ٱحتمل سيدنا؟!

لكن ربما بقوله: «وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضًا يَكُونُ خَادِمِي» يتكلم ليس عن مكان بل عن التقدم في الفضيلة، لأن نفس الخصائص التي ظهر المسيح متميزًا بها يجب على الذين يتبعونه أن يتميزوا بها أيضًا – هذا طبعًا لا يتضمن الامتيازات الالهية الفائقة على الطبيعة البشرية لأنه من المستحيل على أيِّ إنسان أن يكون مثل من هو الإله الحقيقي ومن هو بطبيعته الله، بل أن يتمثل بالخصائص التي يمكن لطبيعة الإنسان ان تَتَّصِفُ بها، ليس إسكات البحر وأعمال من هذا القبيل بل أن يكون **متواضعًا ووديعًا ويحتمل الإهانات**.

« وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي يُكْرِمُهُ الآبُ»

هنا بالتأكيد توجد مكافأتهم، بأنْ يكرمهم الآب، لأن تلاميذ المسيح هم شركاء لملكوت المسيح ومجده. ويقول إنَّ الكرامات تُعطى من الآب، رغم أنه هو نفسه معطي البركات، فهو يقول: إنَّ الطبيعة الإلهيَّة هي التي تُعطي كل إنسان حسب عمله، ويُرينا أنَّ الآب يريد أن نطيع أوامر الابن، لأن الابن لا يشرّع أي وصية مضادة لوصية الآب. لذلك يجب أن نلاحظ أن من يعمل الأعمال المرضية لله فهو يخدم المسيح، **امَّا من يتبع رغباته الخاصة فهو تابع لنفسه وليس تابعًا لله**.

« اَلآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ. وَمَاذَا أَقُولُ؟ أَيُّهَا الآبُ نَجِّنِي مِنْ هذِهِ السَّاعَةِ؟. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا أَتَيْتُ إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ!» (يو١٢: ٢٧–٢٨)

أرجوكم أن تلاحظوا في هذه الكلمات مرَّة أخرى، **كيف أن الطبيعة البشرية تتأثر بسهولة بالأمور المزعجة، ويدخل إليها الخوف**، بينما من الناحية الأخرى فإن القوَّة الإلهية غير المدركة، هي من جميع الوجوه لا تنثني ولا تخاف، وهي ثابتة في الشجاعة التي تليق بها وحدها. **فإنَّ ذِكْرَ الموت الذي ورد أثناء الحديث بدأ يُزعج يسوع**، ولكن قوَّة الألوهة في الحال أخضعت المعاناة التي أثارها **ذكر الموت**، وفي لحظة حولت الخوف إلى **جرأة لا تُقارن**.

لأنَّنَا يمكن أن نفترض أنَّهُ حتى بالنسبة لمخلصنا يسوع المسيح نفسه، ما يخص الطبيعة الإنسانية من مشاعر كانت تتحرك في ٱتجاهين بالضرورة، فبتأثير هذه المشاعر **أظهرَ نفسه بشكل أكيد أنه إنسان مولود من امرأة – ليس في مظهر خادع او مجرد خيال** بل بالحري بالطبيعة

وبالحقّ، **لأنَّ له كل الخصائص الإنسانيَّة** فيما عدا **الخطيئة وحدها**. **والخوف وٱلانزعاج**، رغم أنَّهُما من المشاعر الطبيعية بالنسبة لنا، إلَّا أنهما لا يُحسبان ضمن **الخطايا**. وإضافة إلى ذلك، كانت الخواص البشريَّة فعالة في المسيح بشكل مربح ومفيد، ليس أنَّها في حركتها قد سيطرت وٱمتدت إلى مدى أبعد، كما يحدث معنا، لكنها بعد حركتها فإنها تُختصر وتتوقف بواسطة **قوَّة «الكلمة»**، وهكذا فإن الطبيعة الإنسانية قد تحوَّلت في المسيح أولًا إلى حالة أفضل وأكثر ٱقترابًا من الطبيعة الإلهية. وبهذه الطريقة – وليس بغيرها – ٱجتازت عملية الشفاء من المسيح إلينا نحن أيضًا.

لأن طبيعة الإنسان أعيدت إلى جِدَّةِ ٱلحياة في المسيح نفسه أولًا كباكورة، وفيه أيضًا قد حصلنا على الأمور التي تفوق الطبيعة، ولهذا السبب فهو يُدعى في الكتب المقدسة «**آدم الثاني**». وكما شَعَرَ **بالجوع والتعب** كإنسان، هكذا أيضًا بنفس الكيفيَّة يشعر **بالاضطراب** الناتج عن العواطف والألم، لأن هذا الشعور هو خاصيَّة إنسانيَّة. ومع ذلك فهو لا يُستثار مثلنا، ولكن فقط بقدر ما يبدأ الإحساس بهذا الاختبار، ثم يعود في الحال مرَّة أخرى إلى الشجاعة اللائقة بذاته.

لأنه كما أن **حالة الشعور بالجوع** أو اختبار أي شعور آخر مثل هذا هو ألم خاص بالجسد، هكذا أيضًا فإن **الاضطراب** من تصور الأمور المرعبة هو بالضرورة ألم خاص بالنفس العاقلة، التي بواسطتها هي وحدها يمكن حقًا أن يدخل أي فكر إلى داخلنا من خلال عمليات العقل. لأن المسيح، قبل أن يكون بالفعل مصلوبًا على الصليب، فإنَّهُ يعاني **ضيقة الآلام** قبل حدوثها، إذ كان يرى بوضوحٍ مُسبقًا ما كان سيحدث، وكان يتصوَّر بفكرهِ الأحداث المُقبلة. لأنَّنا لا يمكن أن ننسب **أَلَمَ الرُّعْبِ لِلَّاهوت غير القابل للتألم**، كما أنَّهُ ليس خاصًا بالجسم، لأنه **آنفعال خاص بالنفس** وليس بالجسم.

ومع ذلك، فإنه بعد أن تحدَّث عن كونه «**إضطرب**»، فهو لا ينسحب إلى الصمت بل يحول الألم الذي أحسّ به إلى **شجاعة بلا أي خوف**، وكأنه يقول: «الموت في ذاته هو لا شيء، ولكني سمحت لجسدي أن يشعر بالخوف والرعب، لكي أُدخل فيه عنصرًا جديدًا من الشجاعة والقوة. لقد جئت لأعيد الحياة للذين على الأرض، والتي فيها أيضًا أتهيأ للآلام».

وبعد ذلك يُقدِّم طَلَبَهُ إلى الآب، ويُظهر الشكل الخارجي للصلاة، ليس كأنه ضعيف من جهة الطبيعة الضابطة للكل، بل يصلي من جهة إنسانيته، ناسبًا للطبيعة الإلهية تلك الخصائص التي تفوق البشر، وهو لا يعني بهذا أنَّ الطبيعة الإلهية هي غريبة عن ذاته، فهو يدعو الله أباه الذَّاتي، بل ويعرف تمامًا أَنَّ القوَّة الكاملة الجامعة والمجد الفائق هما يخصان الآب والابن معًا. وسواء كان نص الصلاة «مجد ٱسمك» أو «مجد ابنك»، فلا يوجد اختلاف في المعنى. فالمسيح إنما **يحتقر الموت وعار الآلام**، ويتطلَّع فقط إلى الأمور التي سيحقِّقها بواسطة آلامه. وهو يرى **موت كل البشر**، وهو يتلاشى نتيجة لموت جسده عارفًا أنَّ **قوة الفساد** هي على وشك **أن تُباد إلى الأبد**، وأنَّ طبيعة الإنسان حينئذ سَتَتَحَوَّل إلى **جِدَّةِ ٱلحياة**. وكأنه يقول شيئًا من هذا القبيل لله الآب:

« أَيُّها الآب، إنَّ الجسد ينفر من **ملاقاة الموت**، ويرتعب من ذلك الموت الذي هو ضدّ الطبيعة بالنسبة له. بل ويبدو أنَّهُ أمرٌ لا ينبغي أن يُحتمل، إنَّ الذي هو جالس معك في العرش، ويملك القوة الضابطة للكل، يثور اليهود عليه بشدَّةِ إهانتهم الشنيعة، ولكن بما أنَّ هذا هو السَّبَب الذي جئت لأجله، «مجد ابنك»، أي لا تمنعني من **ملاقاة الموت**، بل ٱمنح ابنك هذا الطلب **لأجل خلاص البشر**».

ويمكنك أن تعرف أن الإنجيلي في بعض مواضع أخرى أيضًا يتحدث عن الصليب تحت اسم «مجد»، من قوله: «لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ.» (يو٧:٣٩). فالإنجيلي يتحدث بحكمه عن كونه «صُلب» بقوله «مُجِّدَ»، أي **أَنَّ الصليب هو مجده**. ففي وقت آلامه احتمل المسيح راضيًا وصابرًا صعوبات كثيرة، وأيضًا ٱجتاز آلامًا كثيرة بإرادته من أجلنا؛ كان يمكنه لو أراد أن يرفض التألم بها، فٱحتماله كل هذه الآلام من أجل منفعة الاخرين هو دليل على **حنانه الفائق وعلى مجده الفائق جدًا**.

والابن صار مُمجدًا أيضًا بطريقة أخرى، فبواسطة انتصاره على الموت نُدرك أنَّهُ هو الحياة وابن الإله الحي. **والآب يتمجد** عندما يَظهر أنَّ له مثل هذا الابن مولودًا منه، وبنفس الصفات التي له، **فهو الصلاح والنور والحياة والغالب الأقوى من الموت، وهو الذي يفعل أي شيء يريده**.

وعندما يقول: «مجد ابنك»، فهو يعني هذا: «**أعطِ موافقتك لي أن أتألم بحسب رغبتي**». فالآب بذل ابنه للموت، ليس بدون تشاور معه، بل بالرِّضا والقبول لأجل حياة العالم. لذلك فإنَّ موافقة الآب يُشار إليها على انَّها سببٌ للبركات علينا نحن، فبدلًا من ذكر «**الألم**» تكلم عن «**المجد**».

وهذا يقوله مثالًا لنا، إذ ينبغي أن نُصلِّي أنْ لا نَدخل في تجربة ولكن إنْ حدث ودخلنا في تجربة، فينبغي أن نحتمل التجربة بنبل وشجاعة، ولا نهرب منها بل نصلي لكي نخلص. «مجّد اسمك»، لأنه إذا كان الله يتمجد من خلال الأخطار التي تقابلنا، إذًا فلنحسب كل الأمور الأخرى في مرتبة ثانية بعد هذه الغاية (تمجيد الله).

إضافة إلى ذلك، كما أنَّ **إبادة الموت** لم تَتِمّ بطريقة أخرى غير **موت المخلص**، هكذا أيضًا الوضع بالنسبة لكل ألم من آلام الجسد. فلو لم يشعر المسيح **بالخوف** لما أمكن للطبيعة البشرية أن تتحرَّر من **الخوف**، ولو لم يكن قد اختبر الحزن لما كان هناك تحرُّر من الحزن على الإطلاق، ولو لم يكن قد اضطرب وٱنزعج لما وُجِد أيّ مهرب من هذه المشاعر. ومن جهة كل ٱنفعال من الانفعالات التي تتعرض لها الطبيعة البشرية، فإنَّكَ ستجد المقابل لها بالضبط في المسيح. فانفعالات الجسد كانت تتحرك، لا لكي تكون لها السيطرة، كما يحدث في حالتنا نحن بل لكي حينما تتحرك فإنه يتم إخضاعها كليَّة بقوَّة الكلمة الساكن في الجسد، وهكذا تجتاز طبيعة الإنسان تحولًا وتغييرًا نحو الأفضل. ■

إنَّ طريق آبائنا يتطلب إيمانًا قويًا وصبرًا، بينما الحركات المعاصرة تُحاول أن تكتسب المواهب الروحية – بما فيها حتى التأمل المباشر لله المطلق – **بالضغط وفي وقت زمني قصير**.

في أغلب الأحيان، يستطيع الإنسان أن يلاحظ فيهم نزعة نحو مضاهاة **الصلاة باسم الرَّبّ يسوع باليوجا أو بالتأمل التجاوزي**، وما يشبه ذلك.

أعتقد أنه من الضروري الإشارة **إلى مخاطر هذا الضلال**، أي الخطر من النظر إلى الصلاة كوسيلة تقنية سهلة وبسيطة تؤدي إلى الاتحاد المباشر مع الله.

أني أعتبر أنه من الضروري تأكيد الاختلاف الجذري بين **صلاة يسوع «ربّي يسوع المسيح إرحمني» وسائر النظريات النُسكِيَّة الأخرى**.

إنَّ كل أولئك **مُضِلُّون**، فهم يسعون ذهنيًا إلى تجريد أنفسهم من كل ما هو عابر ونسبي، لكي يتمكنوا بهذه الطريقة من عبور عتبة ما غير مرئية، ليدركوا وجودهم الذي «بلا بداية» و«هويتهم» مع مصدر كل ما هو كائن، ليتمكنوا من الرجوع إليه والاندماج فيه، أي مع المُطلق الذي لا اسم له الذي يتخطى الشخصنة، حتى يُوحّد الشخص فرديته الشخصية – **في الامتداد الفسيح الذي ما وراء الفكر** – مع الوجود الطبيعي.

إنَّ الممارسات النُسْكِيَّة التي من هذا القبيل قد مكَّنت بعض المكافحين من الارتقاء – **إلى درجةٍ ما** – إلى تأمل الكيان الفائق للمنطق، وأن يختبروا رهبة ما، وأن يعرفوا الحالة التي يهدأ فيها العقل عندما يتخطى حدود الزمان والمكان. في حالات كهذه، يمكن للإنسان أن يحس بسلام التجرُّد من ظواهر العالم المنظور المتغيرة بشكل ثابت، **كما بإمكانه أن يكتشف في نفسه حرية روحية ويتأمل في الجمال العقلي**.

إن التطور النهائي لهذا النوع من الممارسات النُسْكِيَّة غير الشخصانية، قد أوصل العديد من النساك إلى الظن بأن المصدر الإلهي **كامن في طبيعة الإنسان ذاتها**، وإلى الميل **لتأليه الذَّات – حيث يكمن أساس السقوط الكبير** – ليروا في الإنسان «مطلقية» ما، والتي ليست في جوهرها إلَّا انعكاسًا للمطلقية الإلهيَّة على المخلوق الذي خُلق على شبه الله، ويشعروا بانجذاب نحو العودة إلى حالة السلام التي عرفها الإنسان قبل ظهوره في هذا العالم.

على كل حال، **بعد هذه الخبرة فإنَّ شكلًا ما من الضلال الفكري قد ينشأ في العقل**. وإني لست هنا في مجال تعداد كافة أنماط الحدس الذهني، لكنني أقول من خبرتي الذاتية أن الإله الحي الحق – **الـ «أنا هو»** – ليس في هذا كله. **بل هذه هي العبقرية الطبيعية للروح الإنسانية في اندفاعاتها المتسامية نحو المطلق**.

كل تأمل ناتج من هذه الطرق **هو تأمل للذَّات**، وليس **تأملًا لله**. في كل هذه الأحوال، **نفتح لأنفسنا جمالًا مخلوقًا** لا **جمال «الكائن» الأول**. **وفي كل هذه الطرق ليس هناك خلاص للإنسان**.

إن أساس **الخلاص الحقيقي** يكمن **في قبول كامل من كل القلب** للإعلان الإلهي: «أنا هو الذي هو (أنا الكائن)... أنا هو الألف والياء، الأول والآخر». الله هو المطلق الشخصاني، الثالوث الواحد غير المنقسم.

كل حياتنا المسيحية مبنية على هذا الكشف الإلهي. هذا الإله دعانا **من العدم إلى الحياة**. ومعرفة هذا الإله الحي وتمييز طريقة خلقته تطلقنا من عتمة أفكارنا الخاصة – **الآتية «من أسفل»** – عن هذا المطلق، **وتُنقذنا من ميلنا – غير الواعِي لكن المدمّر – للانسحاب من الوجود بأي شكل**.

نحن خُلقنا لكي نكون شركاء الكائن الإلهي الذي هو في الحقيقة كائن. أشار المسيح إلى هذا الطريق العجيب عندما قال: «مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ»(إنجيل متى ٧:١٤).

وإذ نَعي عُمق حكمة الخالق، **نخوض الآلام التي نبلغ من خلالها** إلى **الأبدية الإلهية**. وعندما يسطع لنا نُوره نجمع في ذواتنا تأمل النهايتين: نتأمل من جهة **الهاوية وظلمة الجحيم**، ومن الجهة الأخرى نتأمل **النصر والغلبة**. نحن ندخل بشكل وجودي إلى مقاطعة الحياة الإلهية غير المخلوقة، **ويفقد الجحيم قوته علينا**. ونُعطى نعمة لكي نحيا حالة **الكلمة المتجسد – المسيح** الذي نزل إلى الجحيم كغالب – ومن ثم نحتضن كل الخليقة بقوة محبته في الصلاة قائلين: «يا يسوع القدير الرؤوف، ارحمنا وارحم عالمك».

إنَّ استعلان هذا الإله الشخصاني يُضفي مسحة عجيبة على كل شيء. الوجود ليس عملية كونية حتمية بل هو **نُور الحُبّ** الذي لا يوصف المتبادل **بين الذَّات الإلهية والذَّوات المخلوقة**. أنها حركة حرّة لأرواح مملوءة من معرفة حكيمة لكل الموجودات ووعي للذَّات.

بدون هذا ليس هناك معنى لأي شيء بل **موت فقط**. أما صلاتنا فهي اتصالٌ حَيٌّ بين **شخصنا المخلوق والأقنوم الإلهي – الذي هو المُطلق**. وهذا يُعبر عنه عندما نخاطب كلمة الآب قائلين: «ياربي يسوع المسيح الكلمة الذي لا بداية له، للآب الذي لا بداية له، ارحمنا، خلصنا وخلص عالمك».

الترجمة العربية مأخوذة (بعد تبسيط اللغة) من كتاب «في الصلاة» للأرشمندريت صفروني، دير القديس يوحنا المعمدان – لبنان

آثار مسيحية في شعر غير مسيحي

قبل الانتهاء من عرض عدد من الآثار المسيحيّة في شعر بعض شعراء العراق من غير المسيحيّين وفي شعر غير المسيحيّات؛ لا بُدَّ من وقفة قصيرة مع **الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة** (بغداد ١٩٢٣ – ٢٠٠٧ م) إذ كانت متحفظة على ذكر المفردات المسيحية التي ذكرها عددٌ من معاصريها وتحديدًا **السّياب والبيّاتي**، بل وجدتُها واقفة حيرى أمام الكتاب المقدّس، لأنّها لم تدرسه ولم تتقصّ الحقائق من أحد دارسيه ما أشرتُ إليه في معرض بحر المتدارك خلال مراجعتي بحور الشعر العربي، لذا ٱنتقدَتْ أوّل ما وقع نظرُها عليه وهو سِفر التكوين لأنه أوّل سِفر في الكتاب المقدّس، وهذه الشاعرة من النوع القارئ والناقد في آنٍ واحد. فإليك أمثلة من قصيدتها «التماثيل» التي قدّمتها «**هديّة**» مثيرة للجدل، ما اقتضى أداء الواجب تجاهها.

التماثيل – نازك الملائكة

« هدية إلى قائمة الأسماء الغامضة المنطفئة التي جاءت في سفر التكوين من كتاب العهد القديم».

لم تعُدْ هذه الصحائفُ تُوحي * لي بغير الحُزن العميق المذيبِ
فهي صوتُ ٱلآن يحملُهُ الماضي إلى قـلـبيَ الشّـجـيْ المشبـوبِ
فيدوّي في عُمْق نفسِيَ صوتُ العَـدَمِ المُـرّ والفنـاء الكئيبِ

* * * * *

ليتَ كفّ النسيان قد محَتِ الأسماءَ مِن قبلُ ليتها لم تصُنها
ليتها لم تَـدَعْ على صَفَحات الكُتْب ظِلّا منها يُحدّثُ عنها
تركَتْها سُخريّة في فم الدّهـر وهُزءًا من الحيـاة ومنـها

* * * * *

أيّهذي الأسماء يا مَن تبقّيتِ تماثيلَ ليس فيها حياةُ
أنتِ يا مَن بالأمس كنتِ شعورًا * وقلوبًا تشوقُها النغماتُ
كلّ لفظ وراء أحْرُفِهِ معنى حياةٍ أتى عليها المماتُ

* * * * *

وأنا يا حياةُ ماذا سألقى؟ * هلْ سأغدو لفظًا جَفتهُ المعاني؟
هل ستطويني الليالي وتُلقي * فوق عُمري دَياجِرَ النسيانِ؟
ثُمَّ أغدو بين التماثيل تمثالًا وأُمحَى من الوجود الفاني؟...

إلخ- بحر الخفيف

وقد **غاب عن شاعرتنا** أنّ القرآن الذي آمنت به قد وردت فيه تلك الأسماء حرفيًّا؛ فمثالًا لا حصرًا: **آدم، إبراهيم، إسحق، يعقوب، موسى، أيّوب... إلخ**، فهل كان في وسعها أن تكتب التالي في باب الافتراض: «هدية إلى قائمة الأسماء الغامضة المنطفئة التي جاءت في سفر التكوين من كتاب العهد القديم والتي جاءت في سورة كذا وكذا من القرآن» أم أنّ من الأسماء ما بات معلومًا ومضيئًا غير غامض ومنطفئ لأنّ القرآن وافقه، أم كان من حقّ الشّاعرة أن تُعبّر عن رأيها بحريّة وما كان من حقّ غيرها التعبير عن رأيه بالمقدار نفسه من الحريّة؟ فالرأي المقابل هو: ليس ما حُلّل للشاعرة مُحَرّمًا على غيرها، وليس ما حُلّل للمسلمين يُصبحُ مقدّسًا وما حُلّل لغيرهم ما قبل ظهور الإسلام يُمسي مُحرّفًا، على أنّ الذي ورد في القرآن هو الواجب اتّباعه لأنّه الخاتِمَ- في نظر الإخوة المسلمين. فإذا كان القياس على هذا النحو، وإذا طلبوا إلى المسيحيّين أن يصدّقوا رسولًا من عند الله، ظهر بعد صعود السّيّد المسيح إلى

السّماء بستّة قرون ونيّف، **والمسيحيّون مؤمنون بأنّ المسيح له المجد هو الألف والياء والبداية والنهاية والأوّل والآخر (رؤيا يوحنّا ١٣:٢٢)** فوَجَبَ على المسلمين في المقابل تصديق آخِر الأشخاص الذين ادّعوا النبوّة بعد ظهور الإسلام أيضًا، من مشارق الأرض إلى مغاربها، لأنه الخاتِمَ – في نظر أتباعه– ووَجَبَ عليهم أيضًا الإيمان بكتابه وإن خالف ما قبله، ووَجَبَ عليهم الكفّ عن تكفير المختلف عنهم كي لا يواجههم بالمثل أي يكفّرهم. فما من صورة لعدالة تأخذ مجراها بغير هذا المنطق المقارن، ليعمّ الإنصاف في الحقوق جميعَ النّاس بدون تمييز، ولا سيّما الذين يتقاسمون العيش في وطن واحد.

وقد بانت **حيرة الشّاعرة** في تساؤلاتها الوجوديّة المشروعة أكثر عندما واجهت الرهبان، لكنها لم توجّه أسئلة جدّيّة إليهم عن أسباب انشغالهم بالله عن الدنيا، والاعتكاف كُلٌّ في صومعته طوال حياته. ولا شكّ لديّ في أنها قرأت ما كتب **البيّاتي والسّياب** وغيرهما **عن السّيد المسيح وعن الصليب المقدّس وعن القيامة**، إذ كانت تُتابع المنشور من شعر معاصريها باهتمام، لعلّ خير دليل على متابعتها هو الملاحظات النقديّة التي تميّز بها كتابها «**قضايا الشعر المعاصر**» من مجمل ما تميّز به، فلم تغضّ بالطّرف عن هفوة عروضيّة هفاها أحدهم إلّا وذكرتها ولم تترك غلطًا عروضيًّا وقع به إلّا ووضعت نقطًا على حروفه. ذلك في وقت حاولتْ أن تأتي بجديد «**الشّعر الحُرّ**» ليُضاف إلى الشعر العربي، لكنها اكتشفت أنّ في الأفق مَن سبقها إليه وإن اعتُبِرت من روّاده، كما حاولت أن تأتي بحرَ المتدارك بتفعيلة جديدة «فاعلُ» قبلما عَلِمَت بأنّ هذه التفعيلة قد استُخدِمت منذ قرون، وحاولت أن تبتدع بحرًا جديدًا هو «اللاحق» الذي أشرت إليه في معرض بحر المضطرب لكن ثبت لها في ما بعد أنّ «اللاحق» معروف. فإذا **أضيفت تلك المحاولات الفاشلة، التي أصابت الشاعرة بالإحباط**، إلى **نزعتها الذاتية المبنيّة على حبّ العزلة والإنطواء على الذّات منذ نعومة أظفارها**، فلا عجب من اختيارها «الترهُّب» على طريقتها خلال سنين طويلة من حياتها، **والاعتكاف آخر المطاف** في القاهرة حتى وفاتها –رحمها الله– وإليك مقتطفات من وقفاتها أمام الرهبان والراهبات.

عند الرهبان

سِرْ بنا نحو ذلك المعبد القائم فوق الصّخور بين الجبالِ
سِرْ بنا سِرْ بنا لعلّ لدى الرهبان سِرَّ النعيم والآمالِ
هؤلاءِ الزّهّادُ في القنّة البيضاء حيث الصفاءُ مِلءُ الوجودِ
علّهُمْ يعرفون ما قد جَهِلْنا * عن شهاب السعادة المفقودِ
قد سألتُ الرهبانَ عن كنزنا السّحريّ لكنْ لمْ ألقَ منهُمْ جوابا
لم يُجبني منهُمْ سوى صوت محزون يُغّني ويَجْرَعُ الأوصابا
... بحر الخفيف

فقول الشاعرة: (قد سألت الرهبان...) لا يدلّ على أنها سألت عن مفهوم الرهبنة المسيحي وعن اختبار أحدهم، لكنها أقرّت بزهدهم في الدنيا وبصفاء حياتهم. أمّا قولُها: (يُغّني ويجرَعُ الأوصابا) فالغناء في الدير أو الكنيسة هو الترنيم المعروف أو الترتيل، **وليس الغناء التقليدي**، ما لم تغفل **عنه الشاعرة، لأنها بغداديّة ومتمدّنة** ولا شكّ **في وجود كنيسة واحدة على الأقلّ في محيطها**، فلم تأتِ من قرية نائية معزولة عن العالم، **لكنّها ما استطاعت استخدام أيّ من الأفعال التالية** في محلّ «**يُغنّي**» كالقول: «**يرنّم، يرتّل، يشدو، يُنشد، يهزج**» لأنها جميعًا تخلّ بالوزن الشعري لهذا البيت! لكنّها لو كانت مسيحيّة لقالت التالي مِثالًا:

«لم يُجْبني سوى صلاةِ حَزينٍ * بالترانيمِ يَجرَعُ الأوصابا»

والأوصاب: جمعُ الوَصَب أي الوَجَع والمَرَض– لسان العرب

* * * * *

أنشودة الرهبان

نحن بالأمس تركْنا صِبانا * ووَهَبْنا للسّماء هوانا
ودَفَنّا كلّ حبّ عميق * في مكان لا تَعيهِ رؤانا

– – –

نحن ضَيَّعْنا روابيَ حُلْوَهْ * ودفَنّا الحبّ في كلّ ربْوهْ
ثمّ تِهْنا في مسالك حُلْمٍ * وأَفَقنا عند حافة هُوّهْ
وشَرِبْنا اللون والعطر حتى * عادتِ الكاساتُ تنضَحُ شَقْوَهْ
فأتينا الدّيرَ صَرعى حَيارى * عَلّ في ديجورِهِ بعضَ سَلوَهْ
... بحر المديد

– – –

هذهِ يا حياة مملكةُ الرّهبان في عُزلةٍ وفي أكفهرارِ
دفنوها وكاد يُنسى رعاياها الحيارى حتّى ضياء النهارِ
شيَّدوها من كلّ لفتة شوق * في العُيون الحبيسة المحرومهْ
وسقوا أرضها الجديبة من بركان تلك العواطف المكتومهْ

– – –

إنهُ الديرُ فيه ينتصر الموتُ وفي قبْوهِ يعيش الآهُ
في خفاياهُ، في ممرّاته السُّود الحزينات لا يعيش اللهُ

– – –

ذلك العنكبوت كم عاد وجهًا * عَكَسَتْهُ للراهبين الكؤوسُ
إنه وجهُها، أينسون؟ هذي * ربّة الدير، هذهِ تاييسُ
...بحر الخفيف

واضح أنّ **الشاعرة** انتقلت بالوزن الشّعري من **المديد** إلى **الخفيف** في هذه القصيدة، فهُما يتقاربان بالإيقاع حينما يكونان تامّين. أمّا أقوالها «أكفهرار، رعاياها الحيارى، العواطف المكتومة...» فقد عكست ما في حال **الشاعرة** وليس ما في حال **الرهبان**، والدليل واضح في قولها: فأتينا الدّيرَ صَرعى حَيارى... إلخ

تاييس: قدّيسة مصرية ولدت في الاسكندرية خلال القرن الثالث الميلادي.

* * * * *

أغنية تاييس

مِنْ خُيـوط الضّوء أَرْدِيَـتِي * ومِـن الأزهـار ألـوانـي
الهـوى المبـهـور في شفـتي * عَصَرَتْـهُ كـفّ شيـطـانِ
ولهـاثُ الـورد أغنيـتي * وخفـايـا عـالمٍ ثـانِ

– – –

مِن قديم عشق الديرُ * ضحكاتي وٱستطاب ٱسمي
ذكريـات ما لها غـورُ * رسـختْ في الـدَّمِ والعَظْمِ
أأنا النقـمة والشـرّ * لِمَ يُضْنيـكُمْ إذنْ رَسـمي؟

– – –

راهبُ الأمس أنسـاهُ؟ * كيف أشْعلتُ أحاسيسَهْ؟
ما حيـاةُ الدّيـر؟ ما اللهُ؟ * إنْ أنـا أصبحتُ تاييسَهْ
وهَـوَىً في رَكْب مَن تـاهوا * وهَبَطْتُ الخُلدَ قدّيسهْ

...بحر المديد

يبدو جليًّا أن الشاعرة **نازك الملائكة** قرأت سيرة حياة القدّيسة تاييس في كتاب ما، **فسِيَرُ القدّيسات والقدّيسين مدوّنة في كتب تاريخ الكنيسة، لعلّ أبرزها السِّنَكْسار (وهي كلمة مشتقّة من اليونانيّة: سِنكساريون)** أي جامع أخبار الأنبياء والرُّسُل والشهداء والقديسين من الجنسين. فلدينا سِنكسار سرياني وأرمني ورومي (بيزنطي) وقبطي وأثيوبي وماروني... إلخ. فإذا **هَزأت الشاعرة في ماضي القدّيسة تاييس، وظنّت من جهة أخرى أنّ الراهبة «تشعل أحاسيس الراهب ولا تستطيع أن تنسى نزواتها» شأن الشّاعرة شأن عدد من جهلة الناس**، فردّنا على ما تقدّم هو التالي ببساطة واختصار:

١) الرهبنة في المسيحيّة:

طريق اختيار حُرّ لعبادة الله بكامل إرادة المختار ووعيه لا يُكرهُهُ أحد على المضيّ فيه. وهناك أديرة لكلّ من الجنسين فنرى هنا ديرًا للرّهبان وهناك ديرًا للرّاهبات.

٢) يستطيع الراهب والراهبة ترك الرّهبنة لأهلها، في أي وقت، بالانصراف إلى الحياة العاديّة، بدلًا من محاولة التحايل على الله **(أي أن يبقى كل منهما في الدّير أو الكنيسة وقلبه مشدود إلى الخارج)** لأنهما يعلمان تمامًا أنّ الله يرى ما في داخل الفكر والقلب وأنّ الحساب عسير يوم الدينونة.

وقد حَسَمَ **الرسول بولس** هذا الموضوع في الأصحاح السّابع من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس- بقول الوحي الكتابي على لسانه: «وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَضْبُطُوا أَنْفُسَهُمْ فَلْيَتَزَوَّجُوا لأَنَّ التَّزَوُّجَ أَصْلَحُ مِنَ التَّحَرُّقِ» (١ كور ٧:٩) آمين.

فلا أحجل من الاعتراف بوجود أخطاء في كل مكان وزمان، بل تمّ فضح بعضها والمحاسبة عليه، عِلمًا أنّ تلك الأخطاء لا تمتّ إلى الكتاب المقدّس بأيّة صلة، إنما الكتاب المقدّس نفسه **فضح أخطاء جميع الرّسُل والأنبياء**، ولم يتستّر كُتّابُ الوحي عبر العصور على أيّ خطأ وإن صدر من رجل أصبح نبيًّا في ما بعد، أو رسولًا ولم يقولوا **بعصمة** أيّ إنسان من الخطأ، لأنّ الوحي الكتابي قال في العهدَين الجديد والقديم :« إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ» (رسالة بولس إلى روما ٣:٢٣)، وكذلك في المزامير وتحديدًا (٣:١٤ و ٣:٥٣) ، أمّا الهدف من الكشف عن تلك الأخطاء فكان لتعليم المؤمنِ- ـةِ الصّواب وتمييزه من الخطأ وليس للتشهير بأحد الأنبياء أو الرُّسُل، وهذا من الأدلّة على أمانة كتّاب الوحي وتاليًا مصداقيّة الكتاب المقدّس.

٣) إنّ السّيّد المسيح في مجيئه الثاني لن يُحاسب الخاطئ على ماضيه بل على مستقبله! وإلّا لَمَا غفر للمرأة التي وقعتْ في الزنا: «يَا امْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟ فَقَالَتْ: لاَ أَحَدَ، يَا سَيِّدُ! فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا» (يوحنّا:٨)، ولَمَا غفر **لصالبيه** وهو على الصّليب: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا ٢٣:٣٤)

* * * * *

وللشاعرة نازك الملائكة قصيدة أخرى تحت عنوان «**في دنيا الرهبان**» على وزن الخفيف، لم تزد فيها **الشاعرة سوى مزيد من جهلها بالحياة الرهبانيّة** وتكرار المذكور أعلى من شِعْرها، لذا اكتفيت بما تقدّم. أمّا شعراء العرب من غير العراقيين، الذين تجلّت الآثار المسيحيّة بوضوح في شعرهم، فأخصّ بالذِّكر منهم **الشاعر الكبير صلاح عبد الصّبور** (١٩٣١-١٩٨١ م) **من مصر والشاعر الكبير محمود درويش** (١٩٤١ – ٢٠٠٨ م) **من فلسطين**. وهناك آثار أخرى بالعربيّة غير الفصحى. فيستطيع الباحث والباحثة أخيرًا أن يعثرا على آثار مسيحيّة كثيرة ومتنوّعة، سواء في الكتب وفي المواقع الالكترونية. وبهذا أختم المقالة مع أطيب التمنيّات .

« ٱليقظة هي عشق ٱلله »
للقديس بُرفيريوس ٱلرّائي

إتخذوا ذكر الله بشكلٍ دائم، هكذا سيقتني ذهنكم مرونة، مرونة الذِّهن تأتي من اليَقَظَةِ، واليَقَظَةُ هي **عِشْقُ ٱلله**. أي أنْ يكون **المسيح** دائمًا في ذهنك وفي قلبك حتى عندما تقوم بأعمال أخرى، إنه عشق المسيح، اللهفة. ستقتنون ذكر الله بواسطة صلاة يسوع : «أيها الرَّبُّ يسوع المسيح إرحمني» ، وبواسطة صلوات الكنيسة والتسابيح، وبتذكر أفعال الله ومقاطع من الكتاب المقدس ومن كتب روحية أخرى. هذا يحتاج طبعًا الى رغبة صالحة ولا يَتِمُّ بغصب النفس، بل بواسطة النعمة الإلهية بشكل خاص. ولكن النعمة الإلهية تريد مُؤهلات، أيّ **المحبة والتواضع**.

دعوة داود بقيثارته

يوحنا الذهبي الفم

أوَّلًا من الضروري أن نوضح لماذا تَمَّ إدخال المزمور إلى حياتنا، ولماذا هذه القِطَع بالذَّات من التأليف المُوحَى به تُتْلَى مع الموسيقى. لمعرفة سبب لماذا تُرتَّل المزامير مع موسيقى، **إنتبه: الله** بإدراكه أنَّ العديد من الناس عندهم لا مُبالاة وغير مَيَّالين لمعرفة الأمور الروحيَّة، وليس عندهم قابلية على تحمل الجُهد اللَّازم لذلك، أراد أن يجعل الجهد أكثر جاذبية وأن يُقلِّل من مقدار الإحساس بالجهد، لذلك أدمج التأليف المُوحَى به بالموسيقى، حتى يتشجع كل إنسان من خلال إيقاع النغم، ويقدم **التراتيل المقدسة** له بحماس عظيم. في الحقيقة لا شيء يرفع الروح هكذا ويعطيها أجنحة ويحرِّرها من الأرض ويُطلق قيود الجسم، ويرقي فضائلها وٱزدراءها بكل شيء في هذا العالم مثل الموسيقى المنسجمة والأغنية الإلهية المؤلفة بشكل إيقاعي. إن طبيعتنا تشعر برضى ومسرة وٱرتياح شديد للأغاني والألحان، بل حتى الأطفال الرُّضَع الذين يبكون عند الثدي يخضعون للنوم بهذه الطريقة.

وبما أن أرواحنا تميل بشكل طبيعي لهذا الشكل من المتعة، زوَّدنا الله بالمزامير لكي **يمنع الشياطين من تقديم الأغاني الفاسقة** وكل شيء مزعج، فتكون النتيجة فيها منفعة لنا أيضًا ومُتعة. **من خلال الأغاني الدنيويَّة، يتمّ إدخال أذى وضرر وعواقب مريعة كثيرة**، إذ أنَّ أكثر الأغاني **تطرفًا وجموحًا للأهواء تسكن وتعشش في أجزاء الروح وتجعلها أضعف ومتقاعسة أكثر**. خلافًا لذلك، نجد المزامير بكونها روحِيَّة نحصل منها على منفعة عظيمة وفائدة كبيرة وتقديس كثير ونؤسِّس قواعد لكل فضيلة، إذ أن الكلمات تُنقي النفس، والروح القدس يهبط على النفس التي تُغني مثل هذه الكلمات.

في الحقيقة، للبرهان على أن الذين يُغنون بفهم يستحضرون نعمة الروح، لنسمع ما يقوله **بولس الرسول**: «وَلاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ، بَلِ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ» (أفسس٥: ١٨)، ثم ٱسْتَمَرَّ بعد ذلك ليذكر أيضًا طريقة هذا الامتلاء: «بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرَتِّلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ». ماذا يعني بقوله: «فِي قُلُوبِكُمْ»؟ يعني الترتيل بفهم، خشية أنه بينما يلفظ الفم الكلمات **يتجول العقل بعيدًا في كل الاتجاهات**، فيجب أن **تستمع** النفس إلى اللسان.

تمامًا كما أن **الخنزير** يتجه نحو المكان الذي فيه **الطين**، وكما أن **النحل** يقيم في الأماكن التي فيها **الروائح والعطور**، هكذا أيضًا **حيثما تكون هناك أغانٍ فاسقة تتجمع الشياطين**، لكن حيثما يكون هناك **أنغام روحية تحضر نعمة الرُّوح القدس**، وتقدِّس الفم والنفس. أقول لكم هذا ليس فقط لكي تُغنوا بالتمجيد، بل أيضًا لكي تُعَلِّمُوا اولادكم وزوجاتكم أن يغنُّوا مثل هذه الأغاني، ليس فقط أثناء نسجهم على النول، بل أيضًا أثناء مشغولياتهم الأخرى، وخصوصًا على المائدة. بما أنَّ **الشيطان** بشكل عام **يكمن في الحفلات التي فيها السُّكر والشَّراهة والضَّحك البذيء، والنفوس غير المنضبطة كحلفائه**، يجب على المسيحي خاصة في هذا الوقت – قبل الطعام وأثنائه – أن يصون أمنه بالمزامير، وينهض من المائدة مع زوجته وأولاده لكي يغنوا التراتيل المقدسة لله.

إذا كان **بولس** تحت **تهديد الجَلْدِ الذي لا يُطاق، وهو مربوط ومحجوز في السِّجن**، إسْتَمَرَّ في الغناء بالتراتيل لله مع **سيلا** في منتصف الليل – وقتما يأتي النوم في حلاوته لكل شخص – ولم يستسلم لضغوط المكان أو الوقت، ولم يخضع للقلق أو لاستبداد النوم، أو للمعاناة من كل هذه المشقات، أو أي شيء آخر للكف عن الغناء، فكم بالأكثر يجب علينا نحن الذين ننعم بمعنويات عالية ونتمتع بخيرات الله أن نُقدم له **تراتيل الشُّكر والحمد**، حتى إذا ما حدث شيءٌ غير متوقع لنفوسنا **من الشُّرب والشَّراهة**، عندما نبدأ في الغناء بالتراتيل **تبتعد عنا كل الأفكار غير اللائقة والشَّريرة** ... «لأَنَّكَ فَرَّحْتَنِي يَا رَبُّ بِصَنَائِعِكَ. بِأَعْمَالِ يَدَيْكَ أَبْتَهِجُ» (مز٩٢: ٤)

ولتجعل الصلاة ترافق التراتيل حتى ما **تقدَّس البيت أيضًا مع النفوس**. وكما أن أولئك الذين **يدعون الممثلين والراقصات والخليعات إلى حفلاتهم، يدعون الشياطين أيضًا ويملئون بيوتهم الخاصة بأعداء كثيرة – فهم مصدر للغيرة والزنى ولانتهاكات أُخرى كثيرة**، هكذا أيضًا أولئك الذين يدعون **داود بقيثارته** يدعون **المسيح أيضًا** ليدخل معه. وحيثما يكون **المسيح لا يتجاسر**

شيطان على الدخول – بل ولا حتى على النظر. بل سيدخل بالأحرى السلام والمحبة وكل شيء حسن كما من ينبوع مُتدفّق. أولئك الناس يُحوّلون بيوتهم **إلى مسرح** أما أنت فحول بيتك **إلى كنيسة**، حيثما تكون التسابيح والصلوات وجوقة المؤلفين المُلهَمين، والسلوك التَّقِيّ للمغنين، حقًّا لا يُخطئ الشخص بدعوة مثل هذا التَّجمُّع **كنيسة**.

بل حتى وإن لم تُدرك قوَّة الكلمات، في الوقت الحاضر عَلِّم فمك أن يقول الكلمات، إذ أنَّ اللسان يتقدس حتى من خلال الكلمات عندما تقال بحَماس. إذا حفَّرنا في أنفسنا هذه العادة لن نتجاوز – سواء بالإرادة الحرَّة أو من خلال اللامبالاة – مثل هذه الليتورجية اللطيفة، فتلزمنا العادة حتى ونحن غير راغبين على تقديم هذه العبادة الرفيعة كل يوم.

بالنسبة للموسيقى، حتى وإن كنتَ شخصًا مسنًا، حتى وإن كنت صغيرًا في السنِّ، حتى وإن كنتَ أصَمَّ للنغم، حتى وإن كان ينقصك كل الايقاعات، ليست هناك أي ملامة، المطلوب هنا هو: **روح يَقِظَة، وعقل متأهّب، وقلبٌ منسحق، وتفكيرٌ متين، وضميرٌ نقي**. إذا دخلت إلى جوقة الله المقدسة بهذه الصفات فسوف تكون قادرًا على الوقوف بجانب **داود نفسه**. لا حاجة لقيثارة هنا، ولا للأوتارِ ٱلمشدودة، ولا لريشة ٱلعازف ولا للمهارة، ولا لأي نوع من الآلات.

بدلًا من ذلك، إن أردتَ، ٱجعل من نفسك **قيثارة** بإماتة الأعضاء الجسدية، وبتحقيق إنسجامٍ عظيمٍ بين الجسد والرُّوح، وذلك عندما لا يكون للجسد **آشتياقات معارضة لِلُّروح**، بل يخضع لأوامرِهِ وينقاد في طريق ثابت ورائع، وهكذا تنتج نغمًا روحيًا.

ليست هناك حاجة هنا إلى مهارة أتقنت في زمنٍ طويل، بل هناك حاجة فقط إلى غرضٍ نبيل، وبلمح البصر نحصل على الخبرة، لا حاجة لمكان معيَّن ولا لوقت محدَّد، بل في كل مكان وفي كل وقت يمكن للشخص أن يغني في ذهنه. أعني، حتى وإن ذهبتَ إلى السُّوقِ، حتى وإن كنتَ مسافرًا، حتى وإن كنت في صحبة أصدقائك، يمكنك أن توقظ روحك وتصرخ بشكل صامت. هكذا صرخ موسى وسمعه الله (خر ١٤:١٥)، حتى وإن كنت عاملًا تجلس في الورشة وتعمل بكَدٍ، يمكنك الغناء للرَّبِّ. حتى وإن كنت جنديًا حاضرًا في المحكمة يمكنك فعل نفس الشيء. يمكنك حتى الغناء بدون صوت، إذ يدوي العقل بالداخل. نحن لا نغني للناس بل لله الذي يستطيع أن يسمع همسات القلب ويخترق أفكار العقل الخفية.

لا تَشْكُ للنَّاس جُرحًا أنتَ صَاحِبُهُ

للشَّاعر كريم عوده – العراق

بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ أَذْهَلَنِي بِرَوْعَتِهِ ... تَوَسَّدَ القَلْبَ مُذْ أَنْ خَطَّهُ القَلَمُ
أَضْحَى شِعَارِي وَحَفَّزَنِي لِأُكْرِمَهُ ... عِشْرِينَ بَيْتًا لَهَا مِن مِثْلِهِ حِكَمُ
لَا تَشْكُ لِلنَّاسِ جُرحًا أَنْتَ صَاحِبُهُ ... لَا يُؤْلِمُ الجُرْحُ إِلَّا مَنْ بِهِ أَلَمُ
شَكْوَاكَ لِلنَّاسِ يا ابنَ النَّاسِ مَنْقَصَةٌ ... وَمَنْ مِنَ النَّاسِ صَاحٍ مَا بِهِ سَقَمُ
فَالْهَمُّ كَالسَّيْلِ وَالأَمْرَاضُ زَاخِرَةٌ ... حُمْرُ الدَّلَائِلِ مَهْمَا أَهْلُهَا كَتَمُوا
فَإِن شَكَوْتَ لِمَن طَابَ الزَّمَانُ لَهُ ... عَيْنَاكَ تَغْلِي وَمَنْ تَشْكُو لَهُ صَنَمُ
وَإِنْ شَكَوْتَ لِمَنْ شَكْوَاكَ تُسْعِدُهُ ... أَضَفْتَ جُرْحًا لِجُرحِكَ ٱسْمُهُ ٱلنَّدَمُ
هَلْ المُواسَاةُ يَومًا حَرَّرَتْ وَطَنًا ... أَمِ التَّعَازِي بَدِيلٌ إِنْ هَوَى ٱلعَلَمُ
مَنْ يَنْدُبِ ٱلحَظَّ يُطْفِئْ عَينَ هِمَّتِهِ ... لَا عَيْنَ لِلحَظِّ إِنْ لَمْ تُبْصِرِ ٱلهِمَمُ
كَمْ خَابَ ظَنِّي بِمَنْ أَهْدَيْتُهُ ثِقَتِي ... فَأَجْبَرَتْنِي عَلَى هِجْرَانِهِ ٱلتُّهَمُ
كَمْ صِرْتُ جِسْرًا لِمَنْ أَحْبَبْتُهُ فَمَشَى ... عَلَى ضُلُوعِي وَكَمْ زَلَّتْ بِهِ قَدَمُ
فَدَاسَ قَلْبِي وَكَانَ ٱلقَلْبُ مَنْزِلَهُ ... فَمَا وَفَائِي لِخِلٍّ مَا لَهُ قِيَمُ
لَا ٱلْيَأْسُ ثَوبِي وَلَا ٱلْأَحْزَانُ تَكْسِرُنِي ... جُرْحِي عَنِيدٌ بِلَسْعِ ٱلنَّارِ يَلْتَئِمُ
إِشْرَبْ دُمُوعَكَ وَٱجْرَعْ مُرَّهَا عَسَلًا ... يَغْزُو ٱلشُّمُوعَ حَرِيقٌ وَهِيَ تَبْتَسِمُ
وَٱلْجِمْ هُمُومَكَ وَٱسْرِجْ ظَهْرَهَا فَرَسًا ... وَٱنْهَضْ كَسَيْفٍ إِذَا ٱلْأَنْصَالُ تَلْتَحِمُ
عَدَالَةُ ٱلْأَرْضِ مُذْ خُلِقَتْ مُزَيَّفَةٌ ... وَالعَدْلُ فِي ٱلأَرْضِ لَا عَدْلٌ وَلَا ذِمَمُ
فَٱلْخَيْرُ حَمَلٌ وَدِيعٌ طَيِّبٌ قَلِقٌ ... وَٱلشَّرُّ ذِئْبٌ خَبِيثٌ مَاكِرٌ نَهِمُ
كُلُّ ٱلسَّكَاكِينِ صَوْبَ ٱلشَّاةِ رَاكِضَةٌ ... لِتُطْمَئِنَ ٱلذِّئْبَ أَنَّ ٱلشَّمْلَ مُلْتَئِمُ
كُنْ ذَا دَهَاءٍ وَكُنْ لِصًّا بِغَيْرِ يَدٍ ... تَرَى ٱلمَلَذَّاتِ تَحْتَ يَدَيْكَ تَزْدَحِمُ
فَٱلمَالُ وَٱلجَاهُ تِمْثَالَانِ مِنْ ذَهَبٍ ... لَهُمَا تُصَلِّي بِكُلِّ لُغَاتِهَا ٱلْأُمَمُ
وَٱلْأَقْوِيَاءُ طَوَاغِيتٌ فَرَاعِنَةٌ ... وَأَغْلَبُ ٱلنَّاسِ تَحْتَ عُرُوشِهِمْ خَدَمُ
شَكْوَاكَ شَكْوَايَ يَا مَنْ تَكْتَوِي أَلَمًا ... مَا سَالَ دَمْعٌ عَلَى ٱلخَدَّيْنِ سَالَ دَمُ
وَمَنْ سِوَى ٱللّٰهِ نَأْوِي تَحْتَ سِدْرَتِهِ ... وَنَسْتَعِينُ بِهِ عَوْنًا وَنَعْتَصِمُ
كُنْ فَيْلَسُوفًا تَرَى أَنَّ ٱلجَمِيعَ هُنَا ... يَتَقَاتَلُونَ عَلَى عَدَمٍ وَهُمْ عَدَمُ

لاتشكو للناس جرحاً أنت صاحبه النسخةالجديدة كريم العراق

س: ما هي غاية الإنسان؟

ج: غاية الإنسان؟ «وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا.» (يوحنا ١٣: ٣٤). الغاية هي... **المحبّة**. ولا شيء سواها. لا تفعل شيئًا آخر... ولكن ماذا تعني المحبّة؟ عندما ترى شخصًا، أيّ شخص، اجعل نفسك غير موجود، حقًا ككيان. وأدخل روح هذا الشخص، حتّى ولو كان **فاعل شرّ**، أو إنسانًا لا تفهمه... يجب أن تفعل هذا! لأنّه هو الآخر يملك في داخله نسمة الله ، قَبَسَ المسيح وقلبًا يخفق مثل قلبك... بكلام آخر أنت نفسك معكوس فيه. وإذا لم تقم بذلك فلا يمكنك أن تساعد الشخص الآخر.

س: أخبريني المزيد حول المحبّة. كيف يعطيها المرء؟ وإلى أيّ حدّ؟

ج: حسنًا... عندما يكفّ المرء عن الحبّ، فكأنّه يكفّ عن التنفّس. الحبّ كالتنفّس. إنّنا مصنوعون، «معجونون»، إذا استطعنا القول بالمحبّة. ولكن هذا غامض. إنّه نظريّ... ورغم ذلك يمكن رؤيته: أوّلًا، وبشكل رئيس في الطريقة التي تخاطب بها الشخص القريب منك، وكيفيّة منحك إيّاه المركز الأوّل، لأنّ الحبّ والتواضع مترادفان...

في محبّتنا الزوج أو الزوجة، فإنّنا نحبّ أنفسنا. هل تفهم السبب؟ لأنّه ليس نوع الحبّ الذي تعطيه بدون أخذ. وعلى العكس، فإنّ الحبّ الحقيقيّ يعطي ولا يتوقّع شيئًا بالمقابل. لذا فعندما تُعطي الحبّ وتتوقّع الحبّ بالمقابل، فأنت في الواقع تحبّ نفسك... **أمّا حبّ الأمّ لولدها، فهو بالتأكيد ذو مستوى أرفع. لأنّها تعطي بدون أن تكون متأكّدة من أنّها ستأخذ.**

س: نعم، والأمّ تسامح مرّات كثيرة.

ج: وهذا أيضًا. إنّ كلّ هذه الأمور تعمل معًا: الصبر، والمسامحة... كلّها موجودة في الحبّ. الحبّ هو أيضًا أن تضع نفسك في مكان الشخص الآخر. هذا ما قاله المسيح: «أَحْبِبْ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ!». وهذا ما قاله للناموسيّ (في مثل السامريّ الصالح): «اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَاصْنَعْ هكَذَا». بغضّ النظر عمّن هو الشخص الآخر: شخص صالح؟ شرّير؟ غريب؟ قريب؟ الحبّ هو أن تحبّ الآخر لما هو. من أجل صلاحه، لما هو مخبّأ فيه. وليس بالنسبة إليك. من دون أن يكون ذلك نسبة إليك على الإطلاق. على هذا النحو يحبّنا الله .

س: يا بارونديسا، في كلّ البلدان التي زرتها، ما هو أكثر ما يبتغيه الناس؟

ج: أكثر ما يبتغيه الناس هو **ابتسامة، ولمسة، ودمعة**. ولا شيء آخر. عندما ترى الشخص الآخر ككائن بشريّ وتشعر به كأخ فعندها كلّ ما تعمل له هو صالح. فقد يكون يبتغي طبقًا ساخنًا... أو قميصًا نظيفًا... لقد عشت مع جماعة بُرص، وهناك كنت أغسل يوميًّا عشرات القمصان، لأنّ شخصًا سليمًا يجب أن يقوم بعمليّة الغسيل لمن هم مرضى. وقد قمت بهذا العمل لمدّة ستّة أشهر. إلّا أنّ أحدهم لم يستطع أن يفهم ذلك – **يا للنفس المثيرة الشفقة!** – فقال لي: «أنت؟ سيّدة متعلّمة، أوروبيّة، تقومين بهذا العمل؟ هذه الأعمال الصعبة هي لأهل البلد»... أجل...

مرّة عندما كانت في الهند، قال لها أحد المبشّرين إنّها ليست مسيحيّة حقيقيّة وليس باستطاعتها أن تكون مبشّرة جيّدة، لأنّها لا تتكلّم لغات البلاد التي تزورها ولهجاتها. فصلّت إلى الله بحرارة ثمّ قالت له: «**إنّي أستعمل خمس لغات: الأولى هي الابتسامة... الثانية الدموع... الثالثة اللمس ... الرابعة الصلاة... الخامسة الحبّ. وبهذه اللغات الخمس أجول العالم كلّه!**».

إذا كنتَ لا تحبّ فلا تُصلِّ، لأنّ صلاتك لن تبلغ أذنَيِ الربّ. إنها كريهة لدى الله.

كلمات قليلة ومحبّة كثيرة للجميع. أيًّا كانوا. الويل لي إن لم أحبّ.

هذه هي الثقافة الوحيدة: أن نتعلّم كيف نحب الله.

لا تَدَعِ الآخر يعلم أنّه تسبّب لك بالأذى على الإطلاق.

المحبّة قنبلة تمزق كل شرّ في القلب.

لكي تشعر بالفرح عليك أن تعطيه للآخرين أوّلًا.

العلاقات بين البشر تصعب عندما يعلو «الأنا» على «الأنتم».

نحن نافعون فقط عندما لا نعيش من أجل أنفسنا، والعكس صحيح.

إن كنت لا تحطّم أنانيّتَكَ وتفرغها، فمن أين لك أن تهيّئ مكانًا لله؟

إنّي لا أتوقّع شيئًا ولا أبتغي شيئًا، ولا أتساءل عن شيء، ولا أقلق بخصوص شيء، ولا أهتم بشيء ولا أتمسّك بشيء... أنا غير موجودة.

لقد وضع الله حاسّة النظر في الرأس. أتعلمون لماذا؟ حتّى لا نرى وجهنا. أجل! حتّى لا نستطيع أن نرى سوى الآخر. ولا نحبّ سوى الآخر. حتّى نستطيع أن نرى أنفسنا فقط في عينَيِ الآخر.

أنا لست من أناس الفكر. أنا سعيدة فقط لأنّي حيّة وأحبّ الله **وأحبّ الجميع**. من يعيش في الماضي هو بمثابة **مائت**. ومن يعيش بمخيّلته في المستقبل **ساذج** لأنّ المستقبل هو لله. ففرح المسيح نجده في الحاضر فقط، في حاضر الله الأبديّ.

الفرح والسلام والمحبّة والبركة التي نعطيها للجميع، إذا لم تُقتبل، تعود إلينا وإلى الربّ. بكلمات أخرى، فإنّه كما أنّنا لا نستطيع أن نوقف تنفّسنا ودقّات قلبنا، كذلك علينا أن ندع الحبّ الذي ينبع من الله يتدفّق منّا كنهرٍ ليلًا ونهارًا في كلّ مكان وعلى الدوام. لا يعنينا أين يذهب لأنّ هذا يعنيه هو.

عندما نصبح واعين تمامًا عطايا الله، لا يعود لدينا وقت لطلب شيء منه. بل نتابع حياتنا ونحن نقول: «أشكرك... أشكرك... أشكرك... أشكرك... نرى شخصًا... أشكرك... نرى زهرة... أشكرك... نرى كوبًا من الحليب... أشكرك. أشكرك... على كلّ شيء!» فمثل هذه البهجة تدخل حياتنا حتّى إنّ العديد من الناس، وحتّى من بين المقرّبين إلينا، يعجزون عن فهم ماهيّة كلّ هذا. عندما عشت في إنكلترا، كان الناس يسألونني أحيانًا: «ماذا يجري؟ لم أنت سعيدة جدًّا؟» « **فكنت أجيب: لأنّي حيّة، وأراكم... نهارًا سعيدًا لكم!**».

البعض يريدون **بلوغ القيامة** بدون **المرور بالجلجلة**.

الروحانيّة الأرثوذكسيَّة هي المعرفة المكتسبة عن طريق التألّم أكثر ممّا هي عن طريق التعلّم. يوجد الحبّ فقط على الصليب.

ليس هناك شيء أرخص من النقود. إذا أحببت العالم كله، يكون العالم كله جميلًا. لا يمكنك أن ترى النُّور إلّا إذا وصلت إلى نقطة اليأس.

يسألونني كيف لا أتعب بعد مقابلة أشخاص كثيرين في يوم واحد... سأقول لكم لماذا هذا لا يُتعبني: بسبب التنوُّع في حياتي. ففي يوم واحد أحبّ اثني عشر شخصًا! يأتي أحدهم فأذهب معه. أحبّ ذلك الشخص. أليس هذا رائعًا؟ يتكلّم وأسمع. ونتحدّث حول حياته. وهكذا أكون في رحلة ذهاب: أنا لا أوجد... أسمع وأسمع وأسمع. ثمّ يغادرني ويأتيني آخر. ويحدث الأمر ذاته. هل تعرف ما هذا الأمر العظيم؟ أن أكون اثني عشر شخصًا؟ إنّها عجيبة كبيرة! لا أعرف كيف أفسّر ذلك. ولكنّه هكذا. نتحدّث عن الله، كلّ الوقت. أتستطيع أن تتعب؟ لا تستطيع أن تتعب أبدًا.

كلّما كان باب غرفتنا مغلقًا كانت بوّابة السماء مفتوحة.

موطن الضعف الأكبر لدى المرء هو كثرة الكلام وكثرة المناقشة.

لقد أعطانا يسوع المسيح الوسيلة الذهبيّة: أن نكون بمفردنا ومع الآخرين في آن.

صوت الله هو الصمت.

كلّ صباح، وعندما تنفتح صفحة جديدة أمامنا، لنوقّع على الورقة البيضاء، وندع الرَّبّ يكتب عليها ما يشاء. الشخص المتردّد لا يعيش. إعمل ما يجب أن تعمله، فيفعل الله ما يجب أن يفعله.

يريد الإنسان أن يكون حُرًّا. لماذا؟ حتّى يمكنه بهذا أن يُستَعْبَد لأهوائه.

الله يحبّ أعداءك بالقدر ذاته الذي يحبّك به.

إذا كنت لا تحب شخصًا ما، تأمل أنك ترى **المسيح** في ذلك الشخص، وعندئذ لن تجرؤ على النطق حتى بكلمة نقض.

أتمنى أن تختاروا لحياتكم منهجًا، تكونون فيه أداة لإتمام رسالة المسيح على الأرض.

أنا تلميذة المسيح، أحيا وأوجد فقط من أجله.

لا تسأل أبدًا « لماذا حدث لي ذلك؟ وعندما ترى أحدًا يعاني من مرضٍ ما كالسرطان أو فقد البصر، لا تقل قط: « لماذا حدث ذلك له؟». بدلًا من ذلك، صَلِّ لكي يمنحك الله الرؤية ومعاينة الشَّطر الآخر ... عندئذ سوف يمكنك أن ترى الأمور كما هي على حقيقتها مثل الملائكة. كل شيء بحسب خطة الله. كل شيء.»

إذا أردنا أن نكون رهبانًا صالحين، علينا أن نعطي الله في كلّ حين الأولويّة والتقدّم على الحياة الرهبانيّة، وإلّا فسنفشل.

نحن لا نستطيع أن نتخلّص من أيّ من خطايانا. إنّه هو الذي يبعدها عنّا، الواحدة تلو الأخرى.

النقد والسخرية والرذل والرياء وموقف الـ «نعم... ولكن»، هي سلاح المرء **الضعيف الفاشل** أمام الله سواء في تطلّعاته أو في مصيره.

قد يتشاجر بعض البحّارة على سفينة ما، ولكنّ السفينة ما تزال تبحر ثمّ تصل إلى حيث تقصد، وهذا يصحّ في الكنيسة، لأنّ المسيح نفسه ممسك بالدفّة.

المكتبات وصالات المطالعة مكتظّة بالناس. ولكن هل خرج منها يومًا أيّ قدّيس؟

ليس علينا أن «نستسلم» لإرادته. هذا ما يفعله الجنود. أمّا نحن أبناءه، فعلينا أن نهديه إرادتنا الخاصّة إلى جانب كياننا – مهما كنّا في حالة يُرثى لها – وأنْ نقول له: «يا ربّ، خذ كلّ خطاياي ونقائصي وصحّحها».

حياتنا بكاملها هي كالموجة. وعلينا إمّا أن نمشي فوق المياه على مثال القدّيس بطرس الرسول، أو أن نغطس فيها مثل يونان النبيّ.

هذا هو هدف حياتنا على الأرض: أن نحاول العيش في ملكوت الله هنا. إذ كيف نستطيع أن نجيء ونذهب من دون أن نشعر بشعور الفردوس هنا على الأرض؟ لقد سقطنا من الفردوس ولكن ما لم نعد إليه ونحن هنا فكيف لنا أن نقتنيه هناك؟

تعالوا نسكت...

المرجع: مجلة النور، تصدرها حركة الشبيبة الأرثوذكسية بلبنان، عدد ٨ لسنة ٢٠٠١ + مجلة الكلمة مطرانية الروم الأرثوذكس حلب، عدد ٧ لسنة ٢٠٠٩ +

(حياة **الأم غافريليا** طويلة – أقلّ من قرن بقليل – مفعمة بالحيوية والمحبة والعمل في خدمة القريب: إنها أم تريزا أخرى، ولكنها هذه المرة من اليونان. قضت عمرها تنتقل من مدينة إلى مدينة ومن بلاد إلى أخرى ومن قارة إلى قارة. لم تتوقّف مرة عن العمل، لم تشعر بالتعب، لأنّ «الذي يحب لا يتعب»، كما كان من عادتها أن تقول. وهي معالجة فيزيائية، معالجة لمشكلات القدم، ومرشدة، وأم روحية...)

الفصل الخامس – تتمة

– «ما هذه الضَّجة؟ وماذا يحدث؟

فأجابَ أحدهم:

– «سيِّدي المدير، صاحب السِّيادة ... أسألك العفو، إلَّا أنَّ **باباخريستو** هذا قد اتهمني بالسَّرقة!».

وردَّ نكتاريوس بهدوء:

– «هل هذا معقول؟ هل هذا صحيح؟

– «هذه أكاذيب ... لقد شَتَمَ بلادي، وقال إنَّنا نحنُ **أهل متسوڤو أتراك**، وإنَّنا لا نأكل ولا نشرب غير اللبن.

– هل أنتَ جاد.

فقال الثالث:

– أنا سأقول الحقيقة، لقد رفَضَ أن يُعطيه الصحيفة.

– أيَّةُ صحيفة؟

– إنَّها ليست صحيفة، بل كتاب.

– وأيُّ كتاب؟

– **يوميات سكوكوس**.

– وكيف تتواجد **يوميات سكوكوس** في المدرسة؟

– قسمٌ منها فقط، لقد أعطانا إيَّاه **بيريتزوغلو** في السرّ.

– وأنتَ بِمَ يتَّهمونك؟

ثمَّ سادَ الصمت ... وكان نكتاريوس شاحبًا وحزينًا. واستدار ليتأمَّلهم جيِّدًا الواحد بعد الآخر. ثمَّ قالَ ببطء:

– كُل ما فعلتم يؤلمني في العُمق. وَأَجِد نفسي مضطرًا لأنْ أُعاقب نفسي.

– أجل سأُعاقب نفسي بالانقطاع عن الأكل. وأنتَ يا حضرة الناظر أَخبر الطبَّاخ بِألَّا يُرسِل لي الطَّعام لمدة ثلاثة أيام. هل هذا مفهوم؟ وفي خلال أوقات الطعام سَأُصَلِّي حتَّى تنتهي هذه المشكلات.

– أَجل.

– هذا يُحزنني كثيرًا جدًا ... أنتم الذين ستُصبحون في الغَدِ كهنة العليّ! انصرفوا أرجوكم، ليرحمكم الرَّبّ وَيُنِرْ عقولكم ... ويغفر لكم.

* * * * * * * *

وراحوا ينظرون إليه منذهلين ... كانوا يقرأون في نَظَرَاتِه المليئة بالحُزن والأَسَى أشياء أُخرَى غامضة ومؤثّرة. فقالَ من جديد:

– إذهبوا وتَصالَحوا مع بعضكم البعض قبل حلول الظُّهر، وإلَّا فسأُطيل مدَّة عقابي.

فذهبوا يجرُّون خُطواتهم الواحد بعد الآخر، وخرجوا من المكتب مُنْحَنِي الظهور، شاحبين، وقد ملأهم الخوف والاحترام.

وعند الظهر لم يحضر أحدٌ منهم للغداء. بل لازموا غُرَفهم باكين، ولم يَكُن هذا قد حصَلَ لهم قبلًا.

وانتقل الخبر من صفٍ إلى صف، وأثار الدهشة والتعليقات وحَرَّكَ الفضول والاحترام تُجاه هذا «الأسقف الرَّاهب» الذي عكَسَ المسؤوليات وعاقَبَ نفسه.

أمَّا نكتاريوس المعتاد على الزُّهد والأصوام، فقد حافظ على هدوئه ونظرته الوادعة وأَتَمَّ صومه لمدَّة ثلاثة أيَّام كاملة مُصَليًّا من الأعماق من أَجل تَقَدُّم المدرسة.

وَنَسِيَ الطلاب الواحد بعد الآخر ما تبادَلوهُ من الكلمات الجارحة ورَقَّت قلوبهم، وبدأوا يتحوَّلون شيئًا فشيئًا؛ لقد تغيَّروا وأصبحوا أكثر ليونة. وأصبحوا متيقظين، قابلين للتأثّر بالنعمة الإلٰهيَّة. بدأوا يفهمون ما معنى أن يكون المرء كاهنًا، كاهنًا للمسيح المصلوب.

وكما يحصل في أيّةِ مؤسَّسة أو مدرسة عندما يحدث أمرٌ مماثل، يتكوَّن لدى التلاميذ رأي معيَّن حول أحد الأساتذة أو المديرين. ويتّجه هذا الوضع نحو الرسوخ لأنّ جمع التلاميذ القادمين والرَّاحلين يتناقلون المعلومات بسرعة، فتتكوَّن لديهم قناعة تتأكَّد فيما بعد عن طريق الملاحظة والعمل وهكذا دواليك.

وقد لاحظ نكتاريوس نفسه هذه النتيجة، فأَحَسَّ بالارتياح رغم استعداده الداخلي للحزن، وشعر بمحبَّة أكبر لهذه النفوس الغضَّة التي أوكلها الله إليه.

وبما أنَّ عددًا كبيرًا من الطلاب الداخليين كانوا من أصل جبَلِي أو ريفي من **زاغوراخوريا** أو من **تساليّا** الشديدة الفقر، فقد لاحظ نكتاريوس أنهم موفورو النشاط، وقادرون على مساعدته في الاهتمام بالحديقة. وفكَّر بأنَّه سيكون من المفيد جدًا استدعاء مهندس زراعي لإعطائهم دروسًا تطبيقيَّة في الزراعة إلى جانب الدروس النظريَّة التي يتلقونها.

وهكذا فقد بدأ بالتحضير لهذا المشروع، وتقدَّم بالطلب اللازم للمجلس، إلَّا أنَّ تعبه ذهبَ هباءً لأنَّه لم يَحظَ بأَيِّ جواب. ومع ذلك فقد بدأ أحد أعضاء المجلس التنفيذي موافقًا، ووعده بأن يفعل المستحيل لتحقيق هذا المشروع. وقد قال نكتاريوس:

التتمة في العدد القادم

الأرثوذكسيّة (٩١)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وننتَظِر قيامة الأموات

موتُ الرَّبّ الشخصي:

آخر احتكاك ليسوع مع الموت، كان موته الشَّخصي. حتى أقرب الأقربين إلى يسوع وهُم تلاميذه المُخَصَّصين. لم يتوقَّعوا على الإطلاق أن يقوم من القَبر بعد موته مع أنَّه كان قَد سَبَقَ وأَنبَأَهُم عن قيامته. وعندما أُنزِلَ جسد يسوع المثخن بالجراح مِن على الصليب، كانت هذه هي النهاية بالنسبة لهم. لم يكونوا يؤمنون أنَّ ابن الله سوفَ يموت.

وعندما وافتهم الأخبار بعد ذلك أنَّ القبر فارِغ وأَنَّ البعضَ قد رأَى يسوع حيًّا، فإنَّهم بصراحة وبفتور رَفَضوا أنْ يؤمنوا بهذه الأمور الغريبة، ولكن أخيرًا وبعد أن اختبروا بأنفسهم وجوده الشخصي لهم، واحدًا فواحدًا كأفراد وكجماعة، فإنَّهم آمنوا بقناعة تامَّةٍ أنَّ يسوع حيٌّ، وَتَلَقَّوا هذه الأخبار الطَيِّبة بفرَحٍ روحيٍّ عظيم، ونادوا بها كارزين في أربعة أركان المسكونة: «لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لكِنَّهُ قَامَ!» (لو ٢٤:٦).

فإن كُنَّا نقول في قانون الإيمان: «وننتظر قيامة الأموات»، فنحنُ نقول هذا بناءً على العلامة التي لم يفعلها يسوع فقط، بل أيضًا تكلَّم عنها: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ.» (يو٥:٢٥).

«لاَ تَتَعَجَّبُوا مِنْ هذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ» (يو٥:٢٨-٢٩).

إنَّ الرُّسل المسيحيِّين الأوائل كَرَزوا بالقيامة باستمرار، وكانوا يُعلنون غالبًا في كُل عِظة **انتصار يسوع على الموت**، وكانوا مُحقِّين في هذا فإنَّه لا يوجَد معنًى لأن نقول للناس أن يعيشوا حياة جديدة، وأن يحبُّوا بعضهم بعضًا ويُخلِصوا إلى جيرانهم إنْ لم يُعبِّر الموت جهارًا ويُتعامَل معه كعدوّ مهزوم، ويَزول كُل قلق مُختبِئ في قلب إنسان.

فإنْ كُنَّا نُؤمن بكل ما نقوله في قانون الإيمان النيقاوي عن قيامة يسوع، فإنَّه ليس علينا إلَّا أن نتطلَّع وأن نتمنَّى قيامتنا الشخصيَّة.

المفتاح إلى قيامتنا

مفتاح القيامة هو المسيح. كان الإغريق القُدامى يضعون قطعة فِضِّيَّة في أفواه الأموات ليدفعوا الأجرة **لكارون Charon** في السفينة التي تعبر **نهر ستيكس River Styx** إلى العالم الآخر. أمَّا بالنسبة لنا نحن كمسيحيِّين، فالمسيح هو هذه العملة الثمينة الكريمة. إنَّه هو الذي دَفَعَ الثَّمَن مرَّةً واحدة ولِأَجلِ الجميع، أُجرة دمه الكريم الثمين، ليَضمَنَ عبور كُل مؤمن به **نهر الموت** إلى ملكوته.

الحياة الأبديَّة لا تبدأ بعد الموت، إنَّها تبدأ الآن عندما نتعهَّد أن يكون يسوع هو سيِّدنا وربّنا. الذي يُؤمِن بيسوع ويسمع كلامه له حياة أبديَّة. عندما نقيم علاقة مع يسوع الآن مِلؤُها الثقة والمحبّة، فنحنُ نؤسِّس علاقة لا يُمكن أن تنقطع حتى ولا بالموت. لأجل هذا لم يَكُن القدِّيس بولس الرسول يخشَى الموت. لم يَكُن الموت بالنسبة له هو النهاية، ولكن اكتمال حياته مع المسيح. إنَّه بَدَأ مع المسيح واستمرَّ مع المسيح وعاشَ مع المسيح، وآمن أنَّه عندما يموت سيذهب ليحيا مع المسيح. لأنَّ بولس الرسول استطاع أن يقول: «لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ» (فيلبي١:٢١). لذلك تمكَّن أن يقول: «وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ» (فيلبي١:٢١). ولذلك أضافَ أيضًا: «لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا.» (في١: ٢٣). لِيَعرف الإنسان ما معنى أن يموت، فإنَّه يلزم أولًا أن يعرف معنى أن يعيش. إن كانت الحياة هي المسيح، فالموتُ سوف يجعل الإنسان في علاقة أقوى مع المسيح.

يوجد اليوم عددٌ كبيرٌ من المسيحيِّين لا يُصَدِّق ما علَّمه يسوع بخصوص الموت، ولكن الموت أَمرٌ مُحَقَّق. المسيح أبطَلَ الموت وسَلَبَ منه رُعْبَهُ، والموت الذي لا يُخاف منه ليس هو الموت الطبيعي الجسدي، ولكن **الموت الروحي**، تلك الحالة الخطيرة التي يكون فيها الإنسان حيًّا جسديًّا ولكنَّه ميِّتٌ روحيًّا. ميِّتٌ بالنسبة للمسيح، مَيِّتٌ بالنسبة للكنيسة، مَيِّتٌ بالنسبة لاحتياجات إخوته البَشَر. لمثل هؤلاء الذين لا يتمسكون بالله يكون الموتُ كارثة لهم.

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة السابعةَ عشرةَ «في الروح القدس» (تابع)

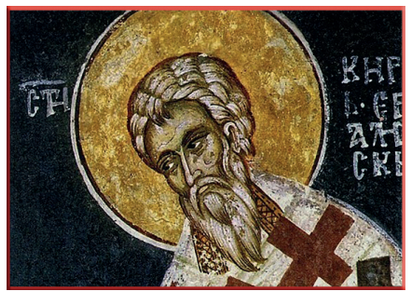

العظة السابعةَ عشرةَ

في الروح القُدس (تابع)

٣٣- الرُّوح القُدس يُنبىء بالمستقبل:

عن كون الرُّوح القُدس قائمًا بذاته، يحيا ويتكلَّم ويتنبّأ، فقد سبق أن تكلمنا عن ذلك مرارًا في عِظاتنا السالفة. وقد كتب بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس بوضوح: «...وَلكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحًا: إِنَّهُ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الإِيمَانِ، تَابِعِينَ أَرْوَاحًا مُضِلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيَاطِينَ» (١تيمو٤: ١). وهذا ما نَراه، ليس فقط في الأيام السالفة، بل في أيامنا، من جرَّاء الانشقاقات وأضاليل الهراطقة المتنوِّعة. وقال أيضًا: «...هذَا السِّرَّ الَّذي لم يُطْلَعْ عليه بَنو البَشَرِ في القُرونِ الماضِية وكُشِفَ الآن في الرُّوحِ إلى رُسُلِه وأَنبيائِه القِدِّيسين» (افس٣: ٥). وأيضًا: «لِذلِكَ كَمَا يَقُولُ الرُّوحُ الْقُدُسُ ...» (عبر٣: ٧). وأيضًا: «وذلِك وَيَشْهَدُ لَنَا الرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا» (عب١٠: ١٥). وعندما يتحدَّث إلى المجاهدين لأجل البِرّ، يقول: «وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ. مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُواظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ.» (افسس٦: ١٧-١٨). وأيضًا: «وَلاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ، بَلِ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ، مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرَتِّلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ.» (افسس ٥: ١٨-١٩). وأخيرًا : «نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ.» (٢ كو١٣: ١٤).

٣٤- الكتاب المقدَّس يُعَلِّم أُلوهيَّة الرُّوح القُدس:

ويتضَّح مع كُلّ هذه النصوص، ومما لم نستطع ان نُورده من نصوص أُخرى اكثر منها، أنَّ قُوَّة الرُّوح القدس قائمة بذاتها ومُقدَّسة وعاملة. ويُعوزني الوقت اذا اردت ان أُوردَ ما بقي من شهادات عن الرُّوح القدس في رسائل بولس الأربع عشرة التي ضمّنها تعليمه بشكل متنوّع كامل وديني. فلتعمل فينا قوّة الروح القدس لكي تمنحنا نحنُ الغفران لتركنا هذه الشهادات، بسبب قلّة الوقت، ولتتمّ فيكم، انتم يا مستمعيَّ، معرفة ما تبقَّى. وعلى الغيورين منكم انْ يتعلَّموا هذه الأشياء بقراءتهم المتواصلة للكتب الإلهيَّة. على إثر هذه العظات وما قُلناه من قبل، إنَّ إيمانكم أَصبحَ أكثر ثباتًا «بإله واحد، آب ضابط الكلّ، وبربنا يسوع المسيح ابنه الوحيد، وبالروح القدس المعزّي». هذه الكلمة وهذه التسمية «روح» مستعملة كاسم مشترك في الكُتُب الإلهية، إذ يُقال عن الآب «الله روح»، كما هو مكتوب في إنجيل القديس يوحنا (٤: ١٤)؛ وعن الابن: «الروح امام وجهنا، المسيح الروح» كما يقول **إرميا النبي** (مراثي ٤: ٢٠)؛ وعن الروح القدس: «وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ.» (يو١٤: ٢٦). ولكنه إذا فُهِمَ بالمعنى الديني حسب ترتيب قانون الإيمان، فهو يستبعد حتى **ضلال سابيليوس**. فلنعُد في عظتنا الآن إلى ما هو أهمّ واكثر فائدة لنا.

٣٥- الإيمان بالرُّوح القُدس لقبول العماد:

حَذَارِ ان تتقرّب من خدَّام العماد - كما فعل سيمون قديمًا - وانت تتظاهر بمسيحيَّتك، على أَنَّ قلبك لا يبحث عن الحقّ. فما علينا نحنُ إلَّا ان نُحَذِّر، وعليك انتَ ان تُؤَمِّن نفسك. إن بقيت ثابتًا في الإيمان فطوبَى لكَ. وَإِنْ أنكرتَ الايمان فارجع اليه منذ اليوم وارسخ فيه. وفي وقت العمَّاد، عندما تتقدّم من الاساقفة أو الكهنة أو الشمامسة (لأنَّ النعمة في كل مكان، في القُرى والمدن، عند البسطاء والنبلاء، عند العبيد والأحرار، بما انها ليست نعمة آتية من البَشَر، بل هبةٌ يمنحها الله بواسطة البَشَر)، فَتَقَدَّم انتَ من المُعَمِّد دون ان تُبدِي اهتمامًا بالشَّخص الظَّاهر أمامك، بل اذكر الرُّوح القدس الذي نتحدَّث عنه الآن. لأنَّه هو الحاضر امامك ليختم نفسك بخاتمه، هذا الختم الذي ترتعد منه **الشياطين**، هذا الختم السَّماوي الإلهي، كما هو مكتوب: «الَّذِي فِيهِ أَيْضًا أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمُ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ.» (أف ١: ١٣).

٣٦- ضرورة الاستقامة للعماد في الروح القدس:

إنه يمتحن النفس «وَلاَ تَطْرَحُوا دُرَرَكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ» (متى ٧: ٦). فان تظاهرتَ سيعمِّدك الناس، ولكن الرُّوح القدس لن يعمِّدك. ولكن اذا اتيتَ بدافع الإيمان، فان الناس يمنحونك ما هو منظور والرُّوح القُدس يُعطيك ما هو غير منظور. انت تأتي لتفتيش مهمّ وتجنيد عظيم يفترض ساعة من الوقت. إن أَضَعتَ هذه الساعة فانَّ الضَرَر لن يُعَوَّض. وبالعكس اذا استحققت هذه النعمة، فان نفسك ستستنير وتتقبَّل قوَّة لم تَكُن لديك، وتتسلّم أسلحة تُفزِع **الشياطين**. واذا لم تُلقِ هذه الاسلحة بل حافظتَ على الختم في نفسك، فانَّ **الشياطين** لن تقترب لأنّه ستفزَع؛ وحتى سَتُطرَد بروح الله.